وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
منشورات الطفل

أساطير رومانية

قصص للفتيان

تأليف: جاني روداري
ترجمة: عياد عيد

الهيئة العامة السورية للكتاب

أساطير رومانية

الهيئة العامة السورية للكتاب

أساطير رومانية

قصص للفتيان

تأليف : جاني روداري
ترجمة: عياد عيد
رسوم: ضحى الخطيب

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م

العنوان الأصلي للكتاب:

Дж ани Родари

РИМСКИЕ ФАНТАЗИИ

Издательство «Правда», 198

أساطير رومانية: قصص للفتيان / تأليف جاني روداري؛
ترجمة عياد عيد ؛ رسوم ضحى الخطيب .- دمشق: الهيئة
العامة السورية للكتاب، ٢٠١١ .- ١٦٨ ص؛ ٢٠ سم.

١- ٨٥٩ ر و د أ ٢- العنوان ٣- روداري
٤- عيد

مكتبة الأسد

صورة السينيور كورنيليوس

كان موتّي لصاً ذكياً. يقول المفتش جيرونيمو هذا دائماً لمساعده دو دومينيتشيس:

"- هل تدري يا دو دومينيتشيس ما سأقوله لك؟"

"- أسمعك أيها المفتش".

"- موتّي هذا لا يشبه اللصوص الآخرين. لديه مخيلة، وهذا ما يميزه. لقد ابتدع من الخدع أكثر مما اخترع غوليمو ماركوني[1]. أردت لو أعرف ما الذي يخطط له الآن. فمنذ عام لم تبدر منه إشارة تدل عليه، لم يقع مرة واحدة. هل ثمة أخبار عن "الكيس"؟"

"- لا أيها المفتش".

---

(١) العالم والمخترع الإيطالي المشهور.

السورية للكتاب

"- نعم، نعم. فهو يعمل دائماً مع موتّي. إنه ظله".

"- غريب، لماذا موتّي، وهو الذكي، مرتبط بهذا "الكيس" الغبي؟"

"- كي يرتاح رأسه. العبقري يحتاج دوماً إلى مساعد غبي نوعاً ما، كي يلتقط أنفاسه حين يتكلم هذا المساعد أو يستمع. فمن غير الممكن التفكير طوال الوقت بأشياء خارقة الذكاء".

في ذلك الوقت كان موتّي يعرض على "كيس" اختراعه الجديد في طرف المدينة الآخر. انعكس الفارق بينهما في الطباع والإمكانات في اسميهما. موتّي هو اسم حقيقي، أما "كيس" فما هو إلا لقب. حصل هذا اللص الصغير على هذا اللقب مرةً، حين راح، بعد أن نهب محل مجوهرات، عوضاً عن أن يدس الغنيمة في جيبه ويهرب بسرعة، راح يغلف الساعات والخواتم والأحجار الكريمة في كيس، ويربطه بشريط من حرير. فاستطاعت الشرطة أن تعتقله على الفور من غير أي عناء.

قال موتّي وهو يريه جهازاً ما: "- لن يمضي شهران حتى نصير غنيين بفضل هذه القطعة".

سأله "كيس": "- لكن هذا، طبعاً، ليس آلة تصوير؟"

"- وما هو برأيك؟"

"- شبيه بها جداً، غير أنني لن أؤكد حتى لا أخطئ".

"- يمكنك أن تؤكد يا كيس، من غير أي خوف. هذه آلة تصوير حقّاً.، وسترى الآن كيف تعمل. قف هناك وفكر بشيء ما".

وقف "كيس" صاغراً، وبذل جهده كي يفكر بشيء ما ذكي. يا للأسف، لم يخطر في باله سوى المرتديلا التي رآها مرة في محل المرتديلا، والتي أدهشته بطولها.

فرقع موتّي بالزر، ثم غاب زمناً غير طويل في الغرفة المظلمة، وعاد بالصورة، وراح يدرسها بمساعدة العدسة المكبرة.

قال "كيس": "- يبدو أنني أبدو سيئاً. غريب، لماذا هيئتي تبدو غبية في الصور دوماً؟"

قال موتّي: "- لكن المرتديلا بالمقابل ظهرت جيدة جداً".

"- ماذا؟ لا تقنعني يا موتّي بأنك تستطيع تصوير الأفكار بآلة التصوير هذه!"

"- الأمر كما تقول. انظر بنفسك".

تناول "كيس" العدسة المكبرة، ونظر من خلالها فرأى المرتديلا. كانت في رأسه طويلة جداً أيضاً حتى إنها ملأت دماغه كله من الأذن إلى الأذن.

"- أحسنت يا موتّي! سيدفعون لك جيداً إذا ما سجلت اختراعك هذا".

"- اصحُ يا كيس! ثمة طريقة أخرى لجني النقود، وهي أسرع".

تبين أن اختراع مُوتّي بسيط على نحو استثنائي، وذو إنتاجية عالية، مثل اختراعاته كلها عموماً. انتشرت في المدينة بعد يومين حوادث سرقة خيالية. رجل غني لم يفش لأحد قَطْ سر خزنته اكتشف أنها فارغة. ولم يجد المفتش جيرونيمو أي أثر لكسر أو خلع. وفي الليالي تبين أن البنوك تفتح أبوابها بنفسها كي يدخلها اللصوص. مسنٌّ بخيل، أخفى نقوده على الشرفة في أصيص

نبات إبرة الراعي، ولم يخبر مخلوقاً بذلك قط، كاد يجن حزناً حين اختفى الأصيص.

قال المفتش جيرونيمو حين أثبتا السرقة العشرين: " – هذه فَعْلَةُ موتّي، فلنذهب ولنزره".

ذهب مع دو دومينيتشيس، واكتشف أن موتّي و"كيس" يشتغلان شغلاً شريفاً. صارا مصورين. "كيس" يصور الزبائن في الاستديو بينما يذهب موتّي ويصورهم في شوارع المدينة.

ابتسم "كيس" وهو ينحني مرحِّباً بالضيفين: "- عام جديد، وحياة جديدة".

"- عام جديد؟ لكننا في آب".

اعترض موتّي وهو يخرج من الغرفة المظلمة، والفلم في يده:

"- البدء بحياة شريفة لا يكون متأخراً أبداً".

حين غادر الشرطيان، غمز موتّي لـ "كيس" وأراه ضحيته الجديدة. لقد صور سراً السينيور كورنيلوس أغنى رجل في المدينة، وكان في الإمكان قراءة أفكارهِ بسهولة، وكأنها كتاب، إنه ينوي السفر في اليوم التالي إلى باريس حاملاً معه في حقيبته الجلدية السوداء مائة مليون. حين سافر كان موتّي و"كيس" في محطة القطار، واختفت الحقيبة.

المائة مليون ليست مائة حبة جوز. اقتسمها موتّي و"كيس" قسمة الإخوة، وأغلقا استديو التصوير، واعتزلا الأعمال كُلَّها.

تمتم المفتش جيرونيمو حين علم بذلك: "- لقد غررا بي. لكنني أحتاج إلى الأدلة. موتّي ماكر، فإذا اعتقلناه من غير أدلة ففي مقدوره أن يسخر منا أمام المحكمة. فلْنعرجْ أولاً على كيس".

سار هو ودو دومينيتشيس. كان "كيس" يعيش في منزل متواضع عند أطراف المدينة. استقبلهما في الحديقة في اللباس المنزلي لأنه كان يطمِّر توت الأرض.

ابتسم بفرح : "- احترامي أيها المفتش ، أحييك أيها الرئيس دو دومينيتشيس. ألا ترغبان في الدخول إلى المنزل؟".

ورأى المفتش جيرونيمو هناك على الخزانة الصغيرة صورة موضوعة في إطار فضي جميل.

شرح كيس : "- إنه عمي غوستاف. إنسان جيد جداً! ترك لي إرثاً غير كبير ، لذلك تركت العمل".

أشار المفتش : "- إن عمك غوستاف ، لسبب ما ، يشبه تمام الشبه السينيور كورنيلوس".

"- ما الذي تقوله! لا يعرف أحدهما الآخر. كورنيلوس... لو كانت ملايينه عندي..."

أشار المفتش جيرونيمو : "- من يدري ، ربما هي عندك تحديداً".

نزع الصورة عن الحائط ، وأسيرَ العادة راح يفحصها ، وكأنه مهتم ببصمات الأصابع ، بالعدسة المكبرة التي لم تكن تفارقه قط. وبما أن نظره كان ، طبعاً ، جيداً فقد رأى ما كان يحتاج إلى أن يراه. رأى في رأس السينيور كورنيلوس الفكرة عن الحقيبة السوداء وفيها المائة مليون ، وحتى ساعة انطلاق القطار.

هتف على نحو لا يخلو من الإعجاب: "- هذا إذن ما اخترعه موتّي!"

شحب "كيس" ولعن في قرارة نفسه ذلك اليوم الذي قرر فيه الشعور بالعرفان للسينيور كورنيلوس فعلق صورته على الجدار - الصورة نفسها التي نصحه موتّي بأن يحرقها.

وجد موتّي و"كيس" نفسيهما في زنزانة واحدة، وكان ذلك، عموماً، تمام العدل. انتظر "كيس" بخوف أول الأمر تعنيف رئيسه له. لكن موتّي كان لبقاً جداً ولم ينحط أبداً إلى مستوى الكلمات الفظة.

علّق المفتش فيما بعد قائلاً: " - كانت فكرة موتّي عبقرية. ففي واقع الأمر أغلب الناس لا يفكرون إلا بنقودهم، مع أن في مقدورهم أن يفكروا بأشياء رائعة كثيرة. أليس كذلك يا دو دومينيتشيس؟"

" - متفق معك تماماً أيها المفتش".

❖ ❖ ❖

الأسطوانة المسحورة

كان "كيس" من أكبر هواة الموسيقى المعاصرة. فكان يقضي أياماً كاملة في محلات بيع الأسطوانات، ويستمع بشغف إلى الأغنيات المختلفة. عاد مساءً وعيناه ملتهبتان، مستثاراً، وساقاه ترقصان من تلقاء نفسيهما، حتى في الفراش.

روى لموتّي قائلاً: "- أيَّ أسطوانة سمعت اليوم!.. كدت أفقد عقلي!".

أجاب موتّي، منقطعاً عن القصة ذات الرسوم التي كان يتصفحها كي يتمم تعليمه: "- أرى".

"- كيف يا عزيزي موتّي؟"

"- تعلم أنني أفهم الناس جيداً".

"- وماذا رأيت أيضاً يا موتّي في "كيسك" الثمين؟"

"- لحظت أنك منذ بعض الوقت تستخدم عبارة "أفقد عقلي" كثيراً".

"- هل هذا خطِر؟ ربما عليّ أن أعرض نفسي على طبيب ما أو اختصاصي بالقواعد اللغوية؟"

"- أظن أن عبارة "فقدان العقل" ستجلب لنا ما نحتاج إليه".

"- ما نحتاج إليه يا موتّي؟ لا نحتاج إلى شيء. لديك جبل من القصص ذات الرسوم، ولا زال عليّ أن أزور مائتي محل للأسطوانات الموسيقية".

"- نحتاج إلى أن نخبئ شيئاً ما للشيخوخة يا "كيس". ونحن مضطران إلى أن نهتم بهذا الأمر بأنفسنا، لأن الحكومة، يا للأسف، لم تقر بعد تقاعداً للّصوص".

"- لا أحسن التفكير يا موتّي، إنك تعرف هذا جيداً. بعد أن فكرت في المرة الأخيرة ظل رأسي يؤلمني أسبوعين".

فكّر موتّي، وفكر، ثم ظل أسبوعين يعمل شيئاً ما. ذهب إلى مختبرات... جلب إلى المنزل عدداً من الأجهزة الغريبة... ترك

جانباً القصص ذات الرسوم، وراح يقرأ أعمالاً بالإلكترونيات، اقشعر جسد "كيس" خوفاً من مرآها.

نصحه قائلاً: "- دع عنك هذا كُلَّهُ يا موتّي. رأسي يدور ما إن أرى هذه الكتب".

مرةً، مساءً، عاد موتّي إلى المنزل ومعه ظرف مربع.

قال "كيس": "- على رسلك يا موتّي، هذه المرة أعرف تماماً ما اشتريتَ. أسطوانة!"

"- لم أشترها".

"- لكنها أسطوانة. كم هذا لطيف منك! تعلم أنني أعشق الموسيقى..."

"- اهدأ يا "كيس". اجلس واسمع".

"- حسناً يا موتي، ها أنا أجلس وأستمع".

استعد تماماً للاستماع، فجلس معيراً انتباهه كله. بعد ثانية فقد عقله، وانطلق يرقص رقصة وحشية، لا يُكبح لها جماح- صعد على المنضدة، وقفز على الكراسي، ولوّح بيديه مثل المجنون، وهز رأسه، وراح يزعق حتى ارتج الزجاج.

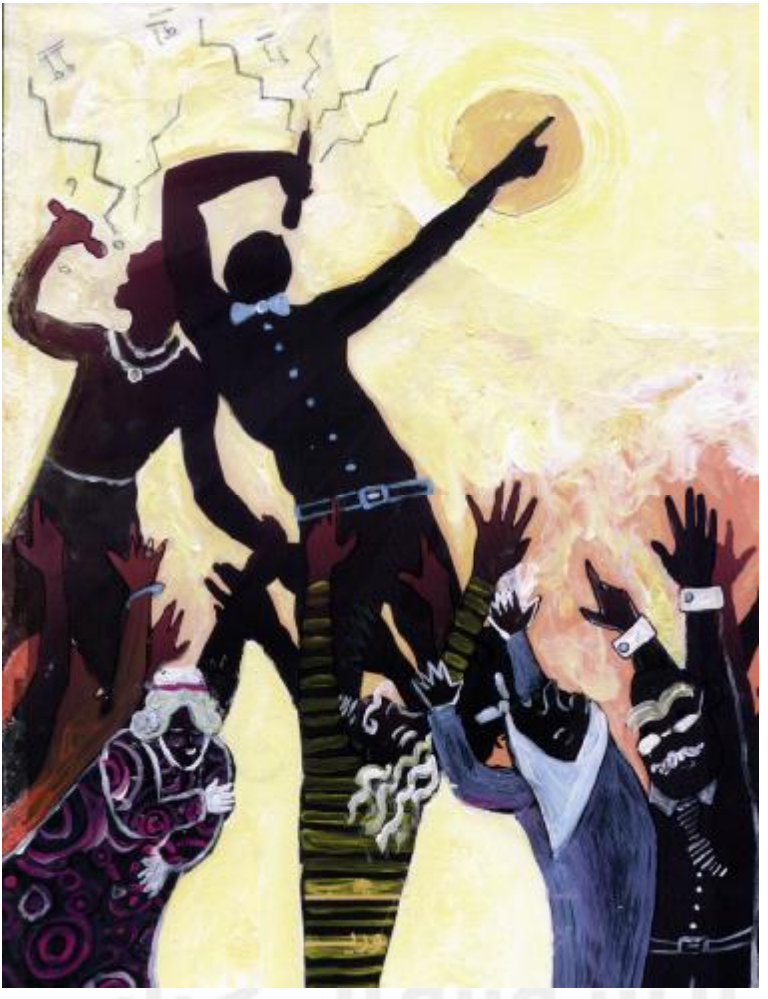

أصابته الدهشة وهو يمسح عرقه حين صمتت الموسيقى:

"- ما هذا يا موتّي؟ لم لا تشغل الأسطوانة؟".

"- لقد شغلتها".

"- أهي من غير صوت، أم ماذا؟ أم إنها دعابة؟"

"- إنها أسطوانة مسحورة يا "كيس". أسطوانة تُفقِد العقل. كنتَ ترقص طوال الوقت الذي كانت تدور فيه، حتى إنك لا تتذكر".

"- وأنت؟ هل رقصت أيضاً؟ لم أرك. كنتَ جالساً طوال الوقت وراء المنضدة يا موتّي".

أخرج موتي من أذنيه سدادتين قطنيتين كبيرتين.

شرح قائلاً: "- كانت لدي هاتان".

"- اشرح لي ما يحدث كُرْمى لله يا موتي. ماذا اخترعت هذه المرة؟"

"- أسطوانة تُفقد العقل. بالمعنى الحرفي، وليس بالمعنى المجازي. سيطول الوقت كثيراً إذا شرحتُ لك كيف فعلتُ هذا،

وأيَّ قوانين صوتية استعملت.. إلى آخره. يكفي أن أقول إن هذه الأسطوانة تؤثر على الجملة العصبية. من يسمعها لا يستطيع إلا أن يرقص. وفيما هو يرقص فإنه يندمج في الرقص فلا يلحظ أي شيء. وحين تصمت الموسيقى ينسى كل شيء في الحال".

فكر "كيس" قليلاً مغامراً بأن يصيبه ألم في الرأس، ثم قال:

"- لا أفهم، ما دمت لا ألحظ شيئاً، فأية تسلية هذه؟"

شرح له موتّي بصبر ومثابرة أين تكمن التسلية، منتقياً أبسط الكلمات وأوضحها، كي لا يتعذَّرَ على "كيس" فهمها. ومع نهاية الشرح جحظت عيناه بشدة، حتى إنه لم يقدر على إغماضهما في تلك الليلة، واضطر إلى أن ينام ويرى الأحلام بعينين مفتوحتين.

صباحاً، خرج موتّي و"كيس" معاً من المنزل.

اختارا محل بيع أسطوانات موسيقية غاصاً بالناس.

قبل الدخول سدا آذانهما بالقطن جيداً.

"- احذر يا "كيس"، الويل لك إن فكرت بنزع القطن. انس عشقك للموسيقى. ثمة مسائل أهم على جدول الأعمال".

"- أَقْطَعُ أذنيَّ ولا أنزع منهما القطن يا موتّي".

هذه المرة برَّ "كيس" بوعده. صمد أمام المغريات كلها، فلم ينزع القطن، وسلك سلوك اللص الحقيقي المكتمل تماماً، وقد كانت هذه هي حقيقته في الواقع. سار كل شيء سيراً رائعاً. طلب موتّي من البائع أسطوانة، وذهب إلى قمرة الاستماع، ووضع على الحاكي الأسطوانة المسحورة، التي جلبها معه، ثم فتح باب القمرة من غير أن يساوره شك في النجاح.

كان يكفي أن تصدح الموسيقى في المحل كله حتى تحل نهاية العالم. رقص حتى البائعون والبائعات - قفزوا على الرفوف، وتسلقوا أعلى الخزائن، وتعلقوا بالثريات مثل القرود. وسلك المشترون السلوك نفسه. فرقص الرجال الوقورون الذين أتوا إلى المحل لشراء السيمفونية التاسعة لبيتهوفن التي تعزفها الأوركسترا بقيادة توسكانيني، مثلما يرقص طلاب السنة الأولى في كرنفال. ورقصت السيدات الأنيقات، متوسطات السن، اللواتي كن قبل دقيقة مترددات في شراء تانغو بيانكي أو رومانسيات توستي، مثل فتيات صغيرات مرتديات سراويل "الجينز" في حفل لفرقة البيتلز. الجميع فقدوا عقولهم.

سار "كيس" بلباقة وهدوء بين الراقصين ولم يُغْفِلْ واحداً.

"- اسمح لي! سآخذ محفظتك دقيقةً. أشكرك، كل شيء على ما يرام. يمكنك متابعة الرقص، أتمنى لك تسلية ممتعة! أعطيني حقيبتك من فضلك أيتها السيدة. شكراً، أنت لطيفة جداً! دقيقة من فضلك أيها الشاب! أرغب في أن ألقي نظرة على جيوبك. ها قد انتهيت. أنت حر! ارقص، ارقص!"

ملأ في ثلاث دقائق الحقيبة التي جلبها معه بالمحفظات، والحقائب النُّسوِيَّةِ وأشياء أخرى، وحين بدا له أن العمل قد انتهى غمز بعينه لموتّي، وخرج من المحل.

أما موتّي فانتظر بهدوء حتى وصلت الأسطوانة إلى نهايتها، فنزعها، ووضعها في جيب واسع في بطانة معطفه. اندس بين حشد الشارين الذين عادوا إلى حالهم السابقة من غير أن يتذكروا إطلاقاً ما جرى لهم للتو، وأعاد للبائع الأسطوانة، وقال له إنه سيعود في وقت لاحق، ثم شكره وودعه وخرج وهو يصفر لحناً مرحاً.

بعد دقيقة حلت من جديد في محل الأسطوانات الموسيقية نهاية العالم، لكنها كانت هذه المرة ذات طابع مختلف تماماً. فالسيد الذي أراد أن يشتري السيمفونية التاسعة اكتشف أنه فقد محفظته، وحدث الشيء نفسه مع الآخرين كلهم.

"- حقيبتي!"

"- نقودي!"

"- سرقوا كل شيء مني!"

فقدت عاملة الصندوق وعيها - لم ينس "كيس" أن يأخذ غلتها الصباحية كُلَّها.

لم يفهم شيئاً القوميسار جيرونيمو الذي حضر إلى مكان الحادث بناء على طلب صاحب المحل. النشال يستطيع أن يسرق محفظة واحدة، يستطيع نشل ثلاث. لكن كيف استطاع هذا اللص، الذي كان موجوداً هنا، أن ينظف عشرات الجيوب، من غير أن يلحظه أحد أيضاً؟

حاولت إحدى السينيورات أن تشرح: "- كنا نسمع الموسيقى...".

تابع القوميسار هازئاً: "- وكنتم جميعاً في نشوة لا مثيل لها، أليس كذلك؟ حسنا يا دو دمينيتشيس، سجل الشهادات. لم يبق لنا ما نفعله سوى هذا".

فتح المساعد دو دمينيتشيس محضر استجواب مؤلف منِ اثنتيْ عشرة صفحة. آلمته يده – آه، كم كتب. ويا لخيبة أمله العظيمة، فبعد ثلاث ساعات تقريباً اضْطُرَّ من جديد أن يطلق قلمه الناشف ليعمل – حلَّ النشال الغامض في محل آخر للأسطوانات الموسيقية.

في تلك الأثناء كان موتّي و"كيس" يضعان جدولاً بالمسروقات في أجواء منزلية هادئة. وزع "كيس" على المنضدة بترتيب صارم ثلاثمائة وسبعاً وثلاثين محفظة، وخمساً وعشرين حقيبة وأشياء مختلفة أخرى لحفظ النقود: ظروف، وبطاقات مطوية طيتين، وحتى منديل واحد معقود على شكل صرّة.

تمتم غير راضٍ: "- لا زال يوجد أناس يحملون النقود في مناديل! هذه ببساطة إهانة للشركات التي تنتج الجلديات. غريب..."

"- ما الغريب يا "كيسي" المجيد؟"

"- غريب، ممن أخذت هذه الصرة؟ كان هناك عجوز في المحل الثاني... عجوز شيباء تماماً! لقد تذكرت الآن، إنها تشبه أمي المسكينة أشد الشبه. ربما كانت تبحث عن أسطوانة لحفيدها هديةً في عيد ميلاده. أي- أي - أي...".

"- وماذا بعد يا "كيس"؟"

"- وإن كان مريضاً؟"

"- من؟"

"- ذاك الصبيّ. ذاك الذي أرادت العجوز أن تهديه الأسطوانة. اسمع يا موتّي، ماذا لو كان مريضاً بالحصبةِ؟ وعليه أن يبقى مستلقياً في الفراش وحده، طوال الوقت – فهم لا يسمحون للأطفال بالدخول إليه. إنك تعلم يا موتّي أنهم يعزلون المرضى بالحصبة! يا للصبي المسكين!"

"- عفوك، لكن من أين عرفت أنه مريض".

"- أحس بذلك يا موتّي. ثمة صوت ما يخبرني بذلك... موتّي، عزيزي، إنه مريض! وجدَّته، العجوز الشيباء تماماً،

أخرجت من خزانتها الصغيرة مدخراتها، فوضعتها في صرة، وذهبت لتشتري أسطوانة كي لا يصاب حفيدها بالملل... وعوضاً عن ذلك..."

"- هل تريد يا "كيس" أن تدمع عيني؟"

"- لا يا موتّي، لا لزوم للبكاء. يكفي أنني أبكي، هل ترى... لا أعرف ماذا يحدث لي. كل هذا بسبب من المنديل. لقد ذكرني بأمي المسكينة. موتّي، عزيزي، ألا يمكن ولو هذا المنديل..."

"- ماذا يا "كيس"؟ اشرح لي في نهاية الأمر ما تريد، إنك تؤثر في أعصابي".

"- لا تغضب يا موتّي. فكرت لو مرة على الأقل... ماذا نخسر لو نرفض حفنة النقود هذه التي في الصرة؟ لا يوجد فيها أكثر من ألفي لير".

"- حسناً يا "كيس". اتفقنا. عد غداً صباحاً إلى المحل وتظاهر بأنك وجدت هذه الصرة على الأرض".

"- لكن كيف سيعرفون أنها للعجوز؟ آه، يا موتّي، لو تستطيع أن تعيدها لها. أنت ذكي يا موتّي! ستجعلني سعيداً ببساطة".

أجهش "كيس" باكياً بمرارة، متذكّراً أمه المسكينة والمنديل والعجوز والحصبة...

اضْطُرَّ موتي إلى أن يفكر طويلاً بما يكفي كي يجد طريقة لتجفيف هذه الدموع.

قال بعد طول تفكير: "- ماذا حدث يا "كيس" في المحلين بعد أن غادرنا؟"

"- لم يحدث شيء مميز كما أظن يا موتّي. استدعوا الشرطة، سألت الحاضرين، ووضعت قائمةً بالمسروقات. هذا كل شيء، يا موتّي، وأؤكد لك أن أي شيء آخر لم يحدث".

"- معنى هذا أن عنوان العجوز موجود لدى الشرطة".

"- يا إلهي يا موتّي! طبعاً موجود!"

"- إذن، إذا أعدنا الصرة وحدها فسيثير هذا الشكوك، وستقع العجوز في متاعب".

"- أوه، لا. كل شيء إلا هذا يا موتّي! إلا هذا!"

"- علينا إذن أن نعيد كل شيء يا "كيس"! ليس إلى المحل الثاني وحسب، بل إلى المحل الأول أيضاً. ستنهي الشرطة البحث تماماً، وسيدعون العجوز في حالها.إنك تعرف هذا التعس القوميسار جيرونيمو - أعطه أثراً ما، أعطه عجوزاً، ولو صغيرة، وسيكمل القضية إلى النهاية. انتهى الأمر؟"

"- انتهى يا موتّي! أنت ملاك!"

صباح اليوم التالي وجد صاحبا المحلين قرب بابي محليهما صرر المحافظ والحقائب وما شابهها.

وجدوا المتضررين بسرعة بوساطة الجداول التي وضعها دو دومينيتشيس، وأعادوا لهم كل ما سرق منهم. أعادوا للعجوز صرتها أيضاً على الرغم من أنه لم يكن لديها أي أحفاد- لا مرضى ولا أصحاء، لقد أحبت الموسيقى ببساطة، واقتصدت من عشائها كي تشتري أسطوانة افتتاحيات شوبان.

أعلن دو دومينيتشيس : "- حقاً إنه حادث غامض أيها القوميسار".

لم يجب القوميسار جيرونيمو. كان يفكر في أنه لن يحزر أبداً ما يجري في نفس الإنسان، حتى لو كان لصاً. ثم أغلق القضية.

الهيئة العامة السورية للكتاب

الدمية التي تعمل
على الترانزيستورات

سأل السينيور فولفيو السينيورة ليزا، زوجته، والسينيور ريمو ابن حميه: "- وماذا بعد؟ ماذا سنهدي إنريكا في رأس السنة؟".

اقترح السينيور ريمو متأهباً: "- طبلاً جميلاً!"

"- إذاً؟!".

"- نعم، نعم، طبلاً كبيراً. مع عصاتين كي تضربه بهما! بام! بوم! بام! بوم!".

دهشت السينيورة ليزا التي كانت شقيقته: "- ما بك يا ريمو! مثل هذا الطبل سيشغل مكاناً كبيراً. ثم ماذا ستقول زوجة اللحام؟!".

تابع السينيور ريمو قائلاً: "- متأكد أن إنريكا ستعجب كثيراً بصحن سجائر من الخزف الملوّن على هيئة حصان، وحوله كثير من صحون السجائر الصغيرة، من الخزف الملون أيضاً، لكن على هيئة قرص جبن".

أشار السينيور فولفيو بصرامة: "- إنريكا لا تدخّن. عمرها لم يتجاوز السابعة".

وجد السينيور ريمو مخرجاً جديداً: "- إذن جمجمة فضية. أو صندوق نحاسي للحراذين، أو ربّما مفتاح للسلاحف أو بخّاخ من أجل الفاصولياء على شكل مظلة..."

اعترضت السينيورة ليزا: "- ما بك يا ريمو، إننا نتحدث جادين".

"- حسناً. سأكون جاداً. نهديها طبلين، أحدهما مضبوط على الـ "دو"، والآخر على الـ"صول".

قاطعته السينيورة ليزا: "- أعرف ما سيعجب إنريكا! دمية إلكترونية جيدة تعمل على الترانزيستورات، وتنفذ جملة من

الأوامر. دمية من تلك الدمى التي تستطيع المشي والتحدث والغناء وتسجيل المحادثات، والتقاط البرامج الإذاعية، ودس الإصبع في الأنف".

أعلن السينيور فولفيو بكل ما يملك رب الأسرة من حزم:

"- موافق!".

قال السينيور ريمو: "- الأمر سيان لدي. اشتريا ما تشاءان. أنا ذاهب للنوم".

مضت بضعة أيام، وحل رأس السنة مصحوباً بعديد من الألعاب البراقة التي تزين واجهات المحلاّت كلها، وبكثيرٍ من صحون السجائر على شكل الناسخ الفلورنسي، المعروضة حيث يمكن عرضها، وبكثيرٍ من عازفي المزمار – الأصليين والمقلدين، ومصحوباً بالثلج على قمم الألب، والضباب في وادي بودان.

جلست الدمية الجديدة تحت شجرة رأس السنة بانتظار إنريكا. نظر الخال ريمو – هو نفسه السينيور ريمو ابن الحمي في نظر السينيور فولفيو، والشقيق في نظر السينيورة ليزا، وهو

ببساطة المحاسب في نظر البوّاب، والمشتري في نظر البائع في كشك الصحف، وهو أحد المشاة في نظر الشرطي، وهو الخال في نظر إنريكا (كيف يستطيع كثير من الأشخاص المختلفين الارتباط عبر إنسان واحد)، إذن فقد نظر الخال ريمو هازئاً إلى الدمية. يجب أن أقول لكم إنه درس السحر دراسةً جدية جداً خفية عن الجميع، وكان يستطيع، على سبيل المثال، أن يشق بنظرة واحدة صحن سجائر من الرخام. أما الآن فمسَّ الدمية في بضعة أمكنة، وأزاح عدداً من الترانزيستورات، ثم ابتسم من جديد بسخرية وذهب إلى المقهى. ركضت إنريكا في تلك اللحظة داخلةً الغرفة، وأطلقت صرخة الفرح التي سمعها والداها باستمتاع من وراء الباب.

هتفت إنريكا مبتهجةً أشد الابتهاج: "- كم هي جميلة! أي دمية رائعة!. سأحضِّر لك الفطور في الحال".

شرعت تنبش باستعجال في الركن، حيث كانت ألعابها، فأخرجت من هناك فناجين كبيرة للقهوة، وصحوناً وكؤوساً، ومزهريات وقوارير، ....، ثم وزعت ذلك كله على منضدة

الدمى، وأمرت دميتها الجديدة بأن تجلس في مكانها، وتنادي عدة مرات "الماما" و"البابا"، ثم ربطت أخيراً منديلاً على عنقها وهمَّت بأن تطعمها. لكن الدمية، ما إن التفتت الفتاة برهة، حتى أطاحت بركلة قوية بالمنضدة المفروشة. تحطمت الصحون، وتدحرجت الفناجين على الأرض ثم تكسرت أيضاً بعد ارتطامها بمشعات التدفئة، ولم يبق منها سوى الشَّقف...

هُرِعَتْ إلى هناك، طبعاً، السينيورة ليزا. لقد خافت أن تكون إنريكا قد ارتطمت بشيء أو سقطت. هرعت، وراحت من غير أن تتبين حقيقة الأمر، تصرخ بابنتها، ناعتةً إياها بأنها "فتاة كريهة، ومقيتة""، وأضافت:

"- كم أنت سيئة! لزام عليك أن تقترفي شيئاً ما في رأس السنة. احذري وإلا خبأت دميتك، ولن تريها بعد الآن!"

وذهبت إلى الحمّام.

ما إن صارت إنريكا وحدها حتى أمسكت الدمية، وصفعتها جيداً ناعتة إياها بالـ "الفتاة الكريهة والمقيتة".، ولامتها لأنها تخلق المشاكل في رأس السنة تحديداً:

"- انتبهي، عليك أن تسلكي سلوكاً جيداً وإلا حبستك في الخزانة ، ولن أخرجك منها بعد ذلك!"

سألت الدمية : "- لماذا؟"

"- لأنكِ حطمتِ الصحون".

أعلنت الدمية : "- لا أرغب في اللعب بها. أريد أن ألعب بالسيارات".

غضبت إنريكا، وصفعتها مرة أخرى : "- سأريك كيف يلعبون بالسيارات!"

لكن الدمية لم ترتبك وأنشبت يديها في شعرها.

"- أوي! ماذا تفعلين؟ لماذا تضربينني؟"

أجابت الدمية : "- دفاع قانوني عن النفس، أنت من علّمني الشجار! أنت التي ضربتني أولاً. لم أكن أعرف كيف يفعلون ذلك".

ردّت إنريكا راغبةً في تغيير موضوع الحديث : "- حسناً، سنلعب لعبة المدرسة! سأكون المعلمة، وأنت التلميذة. هاكِ

دفـترك. أرى أن لـديك أخطـاءً كـثيرةً بـالإملاء، وسأضـع لـك علامة "الصفر"!".

"- ما شأن الرقم "صفر" هنا؟"

"- لـه شأن طبعاً. هذا ما تفعلـه المدرِّسة في المدرسة. أما من يكتب من غير أخطاء فيحصل على عشرة".

"- لماذا؟"

"- لأنهم يتعلمون هكذا!"

"- لقد أضحكتني!"

"- أنا؟"

أجابـت الدميـة: "- ومـن غـيرك! فكـري بنفـسك- هـل تحسنين ركوب الدراجة؟"

"- طبعاً!"

"- وحين كنت تتعلمين ركوبها وتسقطين عنها، هل وضع لك أحدهم علامة الصفر أو الواحد؟"

صمتت إنريكا محتارةً. أما الدمية فتابعت: "- فكري: حين كنتِ تتعلمين المشي، ثم تجلسين على الأرض من غير سابق

إنـذار، هـل كانـت والـدتك تـضع لـك علامـة الـصفر علـى مؤخرتك؟"

"- لا...".

"- لكنـك مـع ذلـك تعلّمـت المـشي؟ و الـتكلم، وتعلمـت الغناء والأكل وتزرير الأزرار، وربط شريط الحذاء، وتنظيف الأسـنان، وتنظيـف الأذنـين، وفـتح البـاب وإغلاقـه، وطلـب الـرقم بالهـاتف، وتـشغيل الحـاكي والتلفزيـون والنـزول علـى السلم والـصعود عليـه، ورمـي الكـرة والتقاطهـا، والتمييـز بـين خالـك والـشخص الغريـب، وبـين الكلـب والقطـة، وبـين البـرّاد وصـحن الـسجائر، وبـين الـسلاح ومفتـاح القـوارير، وبـين جـبن البـارميزان وجـبن الغورغونتـسول، وبـين الحقيقـة والكـذب، وبين الماء والنار. وكل ذلك من غير أية علامات، مهمـا كانـت، سيئة أم جيدة. أليس كذلك؟"

تظاهرت إنريكا بأنها لم تلحظ علامة الاستفهام وتابعت:

"- دعيني أغسل رأسك!"

"- هل فقدت عقلك؟ في رأس السنة..."

"- لكنني أحب كثيراً أن أغسل للدمى رؤوسها!"

"- أما أنا فلا أحب قط حين يقع الصابون على عينيّ!"

"- فلتعلمي! أنت لعبتي، وأستطيع أن أفعل بك ما أشاء. واضح؟"

كانت هذه "الواضح؟" من قاموس السينيور فولفيو. وكانت السينيورة ليزا تنهي أيضاً في أحيان غير قليلة حديثها بهذه "الواضح؟" المعبرة. والآن حان دور إنريكا كي تجبر أحدهم على احترام حقوقها الأبوية. لكن بدا أن الدمية لم تعر انتباهاً لهذه الكلمة ذات الشأن. تسلقت إلى قمة شجرة رأس السنة محطّمة في طريقها عدة مصابيح ملونة، وصارت تتأرجح مثلما يتأرجحون على الأرجوحة.

ابتعدت إنريكا نحو النافذة كي لا تتشاجر معها. كان الصبية يلعبون في الفناء بالكرة ويتزلجون على المزلاج ويركبون الدراجة، ويطلقون السهام من القوس ويلعبون بالأوتاد والحداة.

سألت الدمية وهي تدس إصبعها في أنفها لتؤكد استقلاليتها: "- لماذا لا تذهبين إلى الفناء للّعب مع الفتية".

أجابت إنريكا: "- لا يوجد هناك أحد غير الصبيان. إنهم يلعبون ألعاب الصبيان. أما الفتيات فعليهن أن يلعبن بالدمى. عليهن أن يتعلمن كيف يصرن أمهات جيدات، وربات منزل، عليهن أن يحسنّ فرش الموائد، وغسيل الثياب، وتنظيف الأحذية للأسرة كلها. أمي تنظف حذاء أبي دائماً. من الأعلى والأسفل".

"- مسكين!"

"- من؟"

"- أبوك! ليس له يدان...".

قررت إنريكا أن الوقت قد حان كي تصفع الدمية صفعتين جيدتين. كان عليها كي تصل إليها أن تتسلق شجرة رأس السنة. لكنْ شجرةُ رأس السنة لم تتردد، واستغلت الفرصة كي تهوي على الأرض. تهشمت المصابيح والدمى الزجاجية - يا للهول! أما الدمية فوقعت تحت المنضدة، وقررت أن من

الأفضل في مثل هذه الحال أن تشرع تبكي. لكنها كانت أول من اهتمّت واندفعت نحو إنريكا :

"- هل تأذيتِ؟"

أعلنت إنريكا : "- لا أرغب في التحدث إليكِ! أنت المذنبة في كل شيء! أنت دمية غير مهذبة! اغربي! لا أحتاج إليكِ بعد الآن!"

هتفت الدمية : "- أخيراً! ستلعبين بالسيارات الآن!"

اعترضت إنريكا : "- لن أقدم على مجرد التفكير! سآخذ دميتي القماشية القديمة وسألعب بها".

صاحت الدمية الجديدة : "- هكذا إذن!"

تلفتت حولها. وجدت اللعبة القماشية، فأمسكت بها ورمتها من النافذة – من خلال الزجاج، حتى من غير أن تفتحها.

أعلنت إنريكا : "- سألعب مع دبِّيَ المخمليّ".

بحثت الدمية الجديدة عن الدب المخمليّ، ورمته في حاوية القمامة. أجهشت إنريكا بالبكاء. سمع والداها بكاءها، وهُرِعا

في الوقت المناسب ليريا كيف استحوذت الدمية الجديدة على المقص وراحت تمزق بتهور الألبسة التي في خزانة الدمى.

صاح السينيور فولفيو: "- ما هذه البشاعة!"

صاحت السينيورة ليزا: "- يا لي من تعسة! ظننت أنني اشتريت دمية، لكنني جلبت ساحرة إلى المنزل!"

هرع البابا والماما إلى إنريكا الصغيرة، فحملاها، وراحا يلاطفانها ويشفقان عليها ويقبلانها.

قالت الدمية من أعلى الخزانة التي تسلقتها كي تقص شعرها، إذ كان برأيها طويلاً: "- طاخ!"

فزع السينيور فولفيو: "- هل سمعت؟ قالت "طاخ!" أخوك وحده من يستطيع أن يعلمها هذا".

ظهر السينيور ريمو في الباب، وكأنَّ أحدهم ناداه. كفاه أن يلقي نظرة واحدة كي يفهم ما يحدث.

غمزت له الدمية.

سأل الخالُ متظاهراً وكأنه سقط من السماء: "- ماذا حدث؟"

أجهشت إنريكا المسكينة : "- لا تريد أن تكون دمية. الله وحده يعلم ماذا تظن نفسها".

أعلنت الدمية وهي تنثر من الأعلى خصلاتِ شعرها : "- أريد أن أذهب إلى الفناء لألعب بالأوتاد والحداة. أريد طبلاً! أريد الذهاب إلى الغابة، وإلى المرج، وإلى الجبال! أريد أن أتزلج على المزلاج ! أريد أن أصير فيزيائية - عالمة ذرة، عاملة سكة الحديد، طبيبة أطفال. وسمكريةً أيضاً! وإذا صار لديّ ابنةٌ فسأرسلها إلى المعسكر الرياضي. وإذا خطر لها أن تقول لي "- أريد أن أكون ربة منزل مثلك يا ماما وأن أنظف حذاء زوجي. من الأعلى والأسفل"، فسأرسلها إلى المسبح عقاباً لها ثم أصحبها إلى المسرح".

قال السينيور فولفيو : "- لقد فقدتْ عقلها! ربما أصيب أحد ترانزيستوراتها بالعطب".

طلبت السينيورة ليزا : "- هيا يا ريمو، انظر ماذا حدث، فأنت عارف بهذه الأمور".

لم يجبرها السينيور ريمو على أن تلح كثيراً. وكذلك الدمية. إذ قفزت نحو رأسه، وراحت تتقلّبُ. لمس السينيور ريمو الدمية في بضعة أمكنة، وأدار شيئاً ما، وشد شيئاً ما، فتحولت الدمية إلى مجهر.

أشارت السينيورة ليزا:

"- لقد أخطأتَ".

شد السينيور ريمو شيئاً ما من جديد. فتحولت الدمية إلى جهاز عرض، ثم إلى منظار فلكي، ثم إلى زلاجات ذات عجلات، ثم إلى منضدة للعب كرة الطاولة.

دهش السينيور فولفيو:

"- ما الذي تفعله؟ ستخربها تماماً! أين رأيت دمية تشبه منضدة؟"

تنهد السينيور ريمو مجدداً، وشد شيئاً ما. صارت الدمية مرة أخرى دمية طبيعية متكلمة، شعرُها طويل.

قالت هذه المرة بصوت الدمى: "- ماما، أريد أن أغسل الغسيل".

هتفت السينيورة ليزا :

"- أوه ، أخيراً! هذا حديث آخر. هيا يا إنريكا ، العبي بدميتك. في مقدورك أن تغسلي وجبة جيدة من الثياب حتى موعد الغداء".

لكن إنريكا التي تمت هذه التحولات كلها أمام عينيها ، بدت وكأنها كانت غير واثقة من شيء. نظرت إلى الدمية ، وإلى الخال ريمو ، وإلى والديها ، وتكلمت أخيراً متنهدة بعمق :

"- لا ، أريد أن أذهب إلى الفناء لألعب هناك مع الفتية لعبة الأوتاد والحداة. وربما سأتقلَّبُ أيضاً".

❖ ❖ ❖

الهيئة العامة السورية للكتاب

البيضة الخضراء

عاش أومبونو المسن وحيداً في منزل صغير على طرف الضيعة. توفيت زوجته منذ زمن بعيد ولم يكن لديه أبناء. لذلك كان صحبه الدجاجات في القن والخنزير في حظيرة الخنازير والحمار في الزريبة. ساعده الحمار في حراثة الأرض، ولم يساعده الخنزير في شيء، لكن أومبونو كان يعلم أنه لا يعلفه سدى- فعاجلاً أم آجلاً سيتحول إلى جمبون ومرتديلا ونقانق، وأما الدجاجات فكن يأتينه بالبيض.

ومرة صباحاً، دخل أومبونو القن ليجلب البيض الطازج، وفي طريق عودته إلى المنزل اكتشف فجاءة بيضة خضراء في السلة بين البيضات الأخرى ذواتِ اللون الأبيض.

تمتم قائلاً، فالمسنون غالباً ما يحدثون أنفسهم، وهذا أمر معروف:

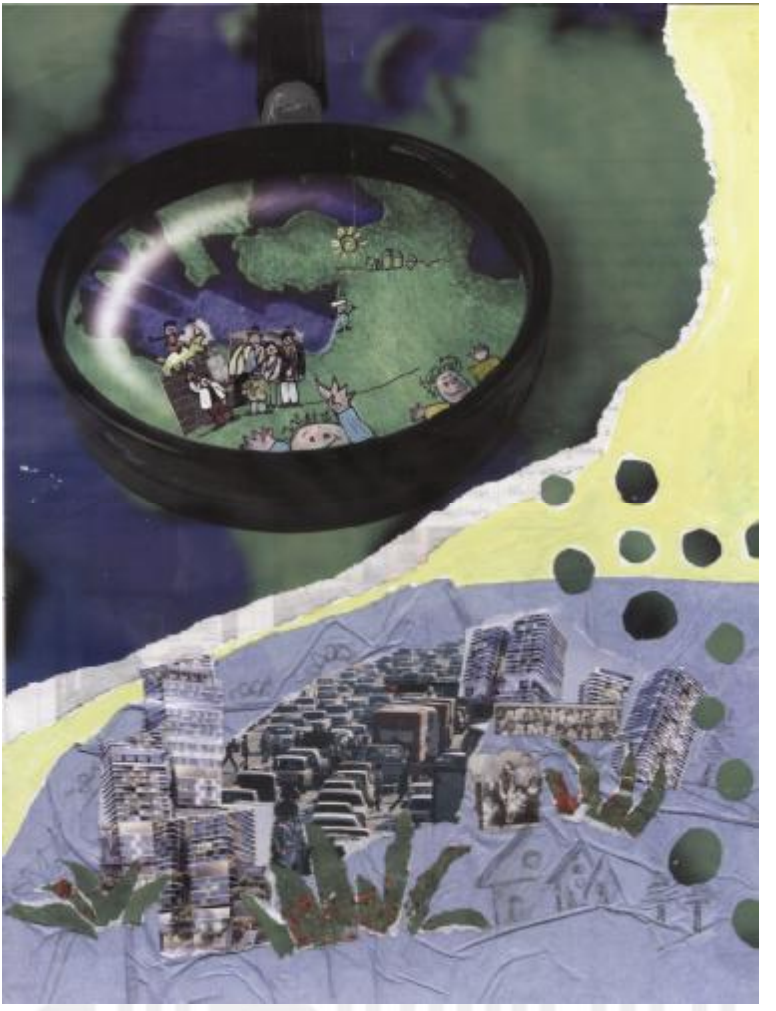

"- لم أر قط مثل هذا. بيضة خضراء! أراهن على أن بيمبا قد باضتها. لقد صارت هذه الدجاجة منذ وقت بعيد غريبة الأطوار، وكأنَّ أحداً قد أخافها. بيضة خضراء! هذا نبأ يستحق النشر في الصحف".

أمسك البيضة وقربها من أذنه.

"- عجيب! بيضة، وتضج كالسيارة، وكأن فيها محركاً بدلَ المح".

وضع المسن البيضات البيض في "البوفيه" والخضراء على المنضدة، وشرع يمعِنُ النظر بها. لم يكن الضجيج مسموعاً لكن كان يكفيه أن يقربها من أذنه حتى يسمعه من جديد.

حينذاك، أخذ أومبونو ملعقة، وشقق القشرة بحذر، وانتزع قطعتين أو ثلاثاً كي يلقي نظرة إلى داخلها، لكنه فزع، ووضع البيضة على المنضدة. راح على الفور أناس ضئيلون، طول الواحد منهم لا يزيد عن طول الظفر، يقفزون فجاءة من ثقب القشرة واحدهم خلف الآخر. عدَّ أومبونو، أول الأمر، عشرة أشخاص، ثم عشرة آخرين، ثم عشرة آخرين، ثم ... وكل

منهم حمل شيئاً على ظهره أو جره وراءه بحبل غير مرئي، لكن لم يكن واضحاً ماذا كانوا ينقلون تحديداً. في لحظة واحدة تفرَّق الأُناس مسرعين في الاتجاهات كلها، منهم من استعجل إلى هنا، ومنهم من استعجل إلى هناك. بدا بعضهم وكأنه يغرز شيئاً ما بالمطارق، بينما راح الآخرون ينشرون. كانوا جميعاً يعملون متكاتفين وبسرعة وجدٍّ وبصمت تام. لكن حين انحنى أومبونو نحو المنضدة ليتنصت خُيِّلَ له أنه يسمع طرقات فأس وصريراً وصريفاً، لا بل سمع أصواتاً آمرة من بعضهم.

قرر أومبونو: " إنهم من المسؤولين على الأرجح".

بعد قرابة عشرِ دقائق انتهى الأناس من بناء شيء شبيهٍ جداً بسكة الحديد، وقد خرجت من البيضة وامتدت حولها لترسم دائرة منتظمة غاية الانتظام، وقطرها مساو لخمسين سنتيمترا. ثم خرج من البيضة قطار مؤلف من عشرين عربة، لا يزيد طول الواحدة منها على طول عود الثقاب. كانت القاطرة (كانت قاطرة كهربائية، على الأغلب، لأن الدخان لم يكن يتصاعد منها) أقصر، لكنها كانت أضخم بكثير. سار القطار

على السكة كما لو أنه لعبة، وكان يتوقف كثيراً، وحينذاك كان الأناس يفرغون من عرباته أشياء ما. تذكّر أومبونو أن لديه عدسة مكبرة، فبحث عنها في درج "البوفيه"، ورأى بوساطتها أنهم كانوا يفرغون عربات ودراجات هوائية وجرارات ورافعات وهياكل للبناء وأجزاء منازل، وأبواباً، ونوافذ، ومفروشات من أنواع مختلفة وآلاتٍ متنوعةً وبكميات كبيرة، ومجموعةً لا نهاية لها من السيارات الخفيفة. وبعد أن ينتهوا من تفريغ العربات كانوا ينهمكون في نقل الأشياء إلى الاتجاهات كلها، وكأن في رأسهم مخططاً محكماً. وعلى كل حال، سرعان ما صار هذا المخطط واضحاً لأمبونو:

"- إنهم يبنون هنا، على منضدتي، مدينة كاملة. يفعلون ذلك كله بامتياز!"

عاد القطار بعد أن أنهى دورة كاملة فَدَخَلَ البيضة، وبعد قليل خرج بحِمل آخر. وفي أثناء ذلك كان أناس جدد يظهرون من البيضة من غير انقطاع. لقد عدّ أومبونو، بدايةً، بضع عشرات منهم، ثم بضع مئات، ثم امتنع عن العد - كان

واضحاً أن عددهم الآن لا يقل عن عشرة آلاف. ولا زالوا يركضون خارجين من البيضة مثنى وجماعات وأفراداً. وبدا أنهم صاروا يعرفون جيداً إلى أين عليهم الذهاب لأنهم كانوا يتجهون فوراً ومن غير أي تردد إلى هذا الحي أو ذاك من المدينة... نعم، نعم لقد ظهرت أحياء وشوارع تسير فيها السيارات جيئة وذهاباً، ويسرع فيها المارة إلى مكان ما. كانت المحلات التجارية تعمل والناس يطلون من النوافذ، بينما راح الأطفال يلعبون في أفنية الأبنية...

دهش أومبونو وهو ينظر عبر المكبرة إلى أحياء المدينة حياً تلو آخر.

"- أوه، أحسنتم".

بعد ذلك خرج من البيضة فجاءةً قطيعُ كاملٌ من الأحصنة، وركضت خلفه الكلاب والقطط، ثم طارت الطيور، صغيرةً، تكاد لا تُرى، حجمها أقل من حجم أصغرِ بعوضة، وحلقت فوق سطوح المنازل، حتى إن بعضاً منها راح يبني أعشاشاً.

سقطت العدسة المكبرة من يد أومبونو من شدة دهشته. ولحسن الحظ أنها سقطت قرب المدينة وإلا كانت ستقتل أحدهم على الأغلب. تسمّر الأناس فجاءة. كان جلياً أن اصطدام المكبرة بالمنضدة قد بدا لهم مثل دوي رعد مصمٍّ للآذان. ثم عادوا إلى العمل من جديد وكأن أحدهم قد هدَّأ من روعهم.

تكدر أومبونو: "- مؤسف أنني لا أسمع ما يقولون. ما معنى هذا كله؟!.."

وهنا أتته فكرة. خرج من المنزل، وأغلق الباب بالمفتاح بحذرٍ زيادةً في الحرص، واتجه للبحث عن حاجته.

تعجب البائع في الحانوت كثيراً:

"- مقوّي؟ مكبر صوت؟ ميكروفون؟ ما حاجتك إلى هذا كله؟"

أجاب أومبونو بحدة: "- أريد أن أسمع ما يقوله النمل. ما شأنك؟ قل لي ما ثمن الأشياء وإلى اللقاء".

"- حسناً، لا تغضب. من شأني أن أبيع في نهاية الأمر، لا أن أهتم لماذا يشتري الناس هذه الأشياء".

"- ممتاز، كم؟"

دفع أومبونو النقود وطلب من البائع أن يشرح له كيف يستعمل هذه الأجهزة، وعاد إلى المنزل من غير أن يعير انتباها إلى الناس، الذين تلفتوا في إثره، إذ اعتادوا أن يروه حاملاً المعول أو الفأس على كتفه.

وفي المنزل انتظرت أومبونو مفاجأةٌ جديدةٌ.

"- ليأخذكم الشيطان. أقسم إن الأناس قد نموا، وإن المدينة صارت أكبر والمنازل أعلى. إنهم ليسوا مطاطيين لينتفخوا على هذا النحو".

صارت المدينة تَشْغلُ الآن المنضدة كلها تقريباً، أما الأناس فكانوا أطول مرتين مما كانوا عليه.

قرر أومبونو:

"- فلننظرْ إذن ما سينتج عن هذا".

رتب الأجهزة كما شرحوا له في الحانوت. ووضع السماعات مثل عامل البرق، وأصلح من وضع القبضة، وراح يستمع. صارت الأصوات الآن مسموعة على نحو جلي وعال: ضجيج المحركات وهديرها، وصيحات الأطفال، والأصوات في ساحات البناء، وضجيج القطار الذي لم يكل من دخول البيضة والخروج منها.

سمع فجأةً صوتاً غطى على الأصوات الأخرى:

"- ألو، ألو!"

صمتت الأصوات الأخرى كلها حالاً، وتوقفت السيارات، وغرقت المدينة في صمت تام.

"- انتباه، انتباه! سنبدأ الاتصال بالأرضيّ! إننا لا نعرف نواياه، لذلك نعلن حالة الطوارئ الدنيا!"

دهش أومبونو: "- الله، الله! يريدون التحدث إليّ... ينبغي الافتراض أنهم سيتحدثون معي تحديداً- فالأرضيّ الوحيد هنا هو أنا... هِمْ، وهم؟ أليسوا أرضيين؟ ألم تبضهم دجاجتي؟"

تردد من جديد في السماعات: "- ألو، ألو! إننا نخاطب الأرضي، الذي يسمعنا. هل تسمعنا جيداً؟"

أجاب أومبونو: "- على أمثل وجه! اشرحوا لي وحسب من أنتم، وماذا كنتم تفعلون في بيضة دجاجتي؟ وهل ستشغلون منضدتي طويلاً؟"

وسمع ردهم: "- قبل كل شيء، نحذرك من أنك مجرّد من إمكان إلحاق أي أذى بنا. وواقع أننا لا زلنا صغار الحجم هكذا لا ينبغي أن يغرر بك. نحن قادرون على تفادي أي هجوم. وفي الوقت نفسه لا نستفزك".

أجاب أومبونو: "- أمر طيب، فلنسمع ما ستقولون أيضاً".

"- ليكن في معلومك أننا حططنا من كوكب بعيد جداً، وغير معروف لكم على الإطلاق. يا للأسف، صارت ظروف الحياة هناك في القرون الأخيرة لا تطاق بتاتاً. بدأت شمسنا تبرد، وماتت النباتات كلها، وغطى الدرع الجليدي مدننا الواحدة تلو الأخرى. لم يكن أمامنا، كي ننجو، سوى أن نغادر الكوكب، ونهجِّر سكانه إلى عوالم أخرى في الكون. هل تسمعني؟"

"- أسمعك، أسمعك، بل إنني أسجل حديثك على المسجلة".

"- إننا نفعل الشيء ذاته. اقترحت لجنة الإنقاذ الاجتماعي لدينا، بعد دراسة المسألة بدقة فائقة، الأمر التالي: جميع سكان الكوكب وحيواناته التي لم تهلك بعد، وكذلك المدن والمعامل والمصانع، وعموماً كل التقنية التي بنتها حضارتنا، ينبغي بمساعدة منظومة خاصة، لن أشرحها لك لأنك لن تفهمها بأي حال...".

"- لا أملك إلا أن أشكرك!"

"- ... باختصار، تم تصغير كل شيء، حتى مقاييس فوق مجهرية، ووُضع في بذرة قرع، قُذفت إلى أرضكم بمساعدة منظومة نقل عن بعد خاصة".

"- الأدق، إلى فنائي... ثم نقرتها دجاجتي... وباضت البيضة.... وخرجتم منها..."

"- نعم، حدث كل شيء على هذا النحو تحديداً".

"- وكم يبلغ عددكم؟"

"- قليل جداً، يا للأسف. لا يزيد عن ثلاثين مليوناً".

"- ثلاثين – ماذا؟"

"- مليوناً".

"- وماذا تريدون مني؟ أن أحوي في منزلي ثلاثين مليون ضيف؟ هل تظنون أنني قادر على أن أطعم الجميع؟ أعزائي، لقد بدأت أظن أن من الأفضل لكم أن تعودوا إلى داخل البيضة... هِيْ، ماذا حدث؟ ما هذا؟ أين ذهبتم؟"

المدينة، والسيارات، والأناس، وسكة الحديد اختفى كل شيء فجاءة، كما لو بفعل عصا السحر. لم يبق على المنضدة سوى البيضة الخضراء والثقب على جانبها.

سأل أومبونو: "- هل أنتم هناك، في الداخل؟"

لم يرد أحد. لكن تناهى من البيضة الآن، كما من قبل، صوت هدير. ثم تكرر كل شيء من البداية: خرج أناس لا يزيد طولهم عن طول الظفر راكضين... فبنوا سكة الحديد... ثم

ظهرت الأبنية والسيارات... وأعيد بناء المدينة برمشة عين. لم تمض ساعة حتى شُغلت المنضدة كلها بالأناس من جديد، ومن جديد تردد الصوت في السماعات:

"- ألو، ألو!"

رد أومبونو: "- أسمعك! أين ذهبتم؟"

سمع في الجواب الشرح لما حدث: "- لقد أعلنتَ من غير أن تدري حالة الطوارئ القصوى".

"- أنا؟ كيف؟ لم أعلن شيئاً".

"- اسمعنا، وكن حذراً في المرة القادمة، كُرْمى لله! يتلخص الأمر في أننا اخترعنا منظومة إنذار خاصة. إنها لا يمكن أن تخطئ قط كما رأيت، لكنها خطرة أيضاً. يكفي لفظ كلمة " داخل البيضة!" حتى ينقطع نمونا ونعود إلى البيضة فوراً".

أشار أومبونو: "- أمر مريح".

"- ليس تماماً. إذ نضطر إلى فعل كل شيء من البداية... يا للأسف، لقد صرنا الآن تحت رحمتك. اسمع ما سنقترح

عليك. نعلم أن على كوكبكم صحارى مقفرة، مثل الصحراء الكبرى وغوبي وغيرهما. أعطونا واحدة من هذه الصحارى فنجعلها قابلة للسكنى بمساعدة تقنيتنا، ونعيش فيها من غير أن نسبب للأرضيين أقل قلق".

قال أومبونو: "- لحظة، لقد قلت شيئاً عن الطول. إلى أي حد يمكنكم أن تطولوا؟"

"- طولنا الطبيعي خمسة أمتار، لكننا سنتكيف مع المعدلات الأرضية، وسنصير شبيهين بالناس بكل شيء".

"- ومن سيضمن أنكم لن تفكروا في السيطرة على كوكبنا؟"

"- في مقدورك في أي لحظة أن تعيدنا إلى البيضة. إنك تعرف إشارة الطوارئ القصوى".

استغرق أومبونو في التفكير وهو يتأمل البيضة الخضراء، ثم قال أخيراً:

"- هل تدرون، أريد أن أقوم بتجربة صغيرة".

تلفت حوله، وأوقف نظره على القبعة المعلقة على مسمار الباب، وهتف:

"- القبعة إلى داخل البيضة!"

اختفت القبعة حالاً. نظر أومبونو إلى داخل البيضة ورآها بالمكبرة وهي ملقاة هناك، ضئيلةً، لا تزيد على النقطة. حينئذ شرع يضحك قائلاً:

"- لم تقولوا لي عن هذا!"

"- لم نقل ماذا؟ لقد شرحنا لك كل شيء".

"- غير أنكم كَتَمْتُمْ أن البيضة تستطيع "أخذ" أشياء أخرى غيركم".

"- لكننا، نحن أيضاً، لم نكن نعرف هذا! لقد أريتنا إياه للتو".

"- حسناً، حسناً. ممكن جداً أن يكون فلاح أشد مكراً من ثلاثين مليون قادم فضائي. ممكن جداً. لكنني سأبقي البيضة معي، من بعد إذنكم".

استمر الأناس في أثناء ذلك بالنمو. صاروا الآن أكبر من خنصر أومبونو، وكان ثمة قادمون جدد يخرجون واحداً تلو آخر من البيضة.

قرر أومبونو: "- ربما ينبغي إبلاغ السلطات سريعاً، وإلا ستفجرون منزلي. إليكم أيضاً بِمَ أفكر: إن نقل ثلاثين مليون إنسان إلى الصحراء الكبرى ليس مزحة. أليس من الأفضل أن تعودوا بعض الوقت إلى هناك... أدراجكم؟"

تشاور الأناس، ثم تكلم الصوت في السماعات متنهداً:

"- أنت محق. سنعود إلى البيضة..."

قال أومبونو: "- إلى اللقاء إذن."

"- إلى اللقاء. شعب آزيما إلى داخل البيضة!"

اختفى في اللحظة نفسها كل شيء عن المنضدة، ولم يبق عليها سوى البيضة الخضراء.

أخذها أومبونو، وجلس على دراجته النارية، وانطلق إلى المدينة.

لن نروي كيف أبلغ الحكومة بكل ما حدث، وكيف أمر الأناس بالخروج من البيضة مرة أخرى كي يبرهن أنه لا يلفق أي شيء، ثم أعادهم إلى البيضة، وكيف طار بعد ذلك مع أفراد الحكومة بالطائرة إلى الصحراء الكبرى، وسلم الصحراء لشعب آزيما، وبقي معهم إلى أن صاروا بطول الأرضيين، ثم عاد إلى قريته مع البيضة الخضراء التي حفظها في حُقٍّ مقعر جميل.

قرر أومبونو في قرارة نفسه: "ستسليني أكثر من مرة أيضاً".

وحقّاً، فقد أخرج البيضة مرةً، وأدخل فيها كل ما لم يكن يعجبه أكثر من غيره. أمر قائلاً:

"- جميع المدافع الموجودة في الدنيا- إلى داخل البيضة!"

وتوقفت الحروب كما بفعل السحر.

وفي مرة أخرى قال:

"- البعوض كله – إلى داخل البيضة!"

ولم يعد أحد قادراً على العثور على بعوضة واحدة في الدنيا من القطب الجنوبي حتى الشمالي.

ولم يسئ أمبونو إلى أيٍ كان، لأنه كان إنساناً جيداً، فحتى اسمه كان معناه الرجل الطيب. قبيل موته هشَّم البيضة الخضراء وسحق قشرتها في الجرن، وحولها إلى مسحوق، ثم ذراه في حقله كي لا يستطيع أحد استعمال البيضة بنية شريرة.

في مقدوري أن أروي لكم كيف جرب مرة دخول البيضة حين كانت لا تزال سليمة.

أمر نفسه قائلاً: "- أومبونو، ادخل إلى البيضة!"

لكن الجلوس هناك، في الداخل، في الظلمة، بدا له مملاً فأسْرَع بالخروجِ منها.

❖ ❖ ❖

الطائرة المجهولة

"- سيدي المدير، طائرة مجهولة تطلب الإذن بالهبوط".

"- طائرة مجهولة؟ من أين ظهرت؟"

"- لا أعرف يا سيدي المدير. لم يكن لدينا معها أي اتصال من قبل. يقول الطيار إن الوقود يوشك على النفاد، وسيهبط حتى لو كنا معارضين. يا له من شخص غريب".

"- غريب؟"

"- أظن أنه غريب الأطوار. سمعت كيف راح يضحك في الميكروفون قائلاً: "خصوصاً وأن أحداً لا يستطيع أن يوقفني..."

"- على أية حال دعه يهبط، وإلاّ تسبب بوقوع كوارث".

حطت الطائرة في مطار صغير في ضواحي العاصمة في الساعة ٢٣ و٢٧ دقيقة. بقي حتى منتصف الليل ٣٣ دقيقة. ومنتصف

الليل هذا لم يكن عادياً بل أهم منتصف ليل في السنة. كان ذاك اليوم ٣١ كانون الأول. وملايين الناس على الكوكب يترقبون حلول العام الجديد.

قفز الطيار غير المعروف من قِبَلَ أحد من القمرة إلى الأرض، وراح يعطي أوامره على الفور:

"- أفرغوا حمولتي! ثمة هناك إثنا عشر كيساً، لا تنسوا أيّاً منها! واستدعوا ثلاث سيارات أجرة، وإلا لن نستطيع نقلها! هل يستطيع أحدكم الاتصال بالهاتف نيابة عني؟"

أجاب السينيور المدير على نحو موارب: "- لا أعلم، لا أعلم. ألا ترى أن عليك في البداية أن توضح بضعة تفاصيل؟"

ابتسم الطيار: "- لا أرى أي ضرورة لذلك!"

اعترض السينيور المدير: "- بيد أنني أرى ضرورة! وأرجوك أن تظهر وثائقك وصحيفتك الجوية".

"- عفوك، لكنني لن افعل ذلك".

أعلن ذلك على نحو قطعي، حتى إن السينيور المدير كاد ينفجر غضباً.

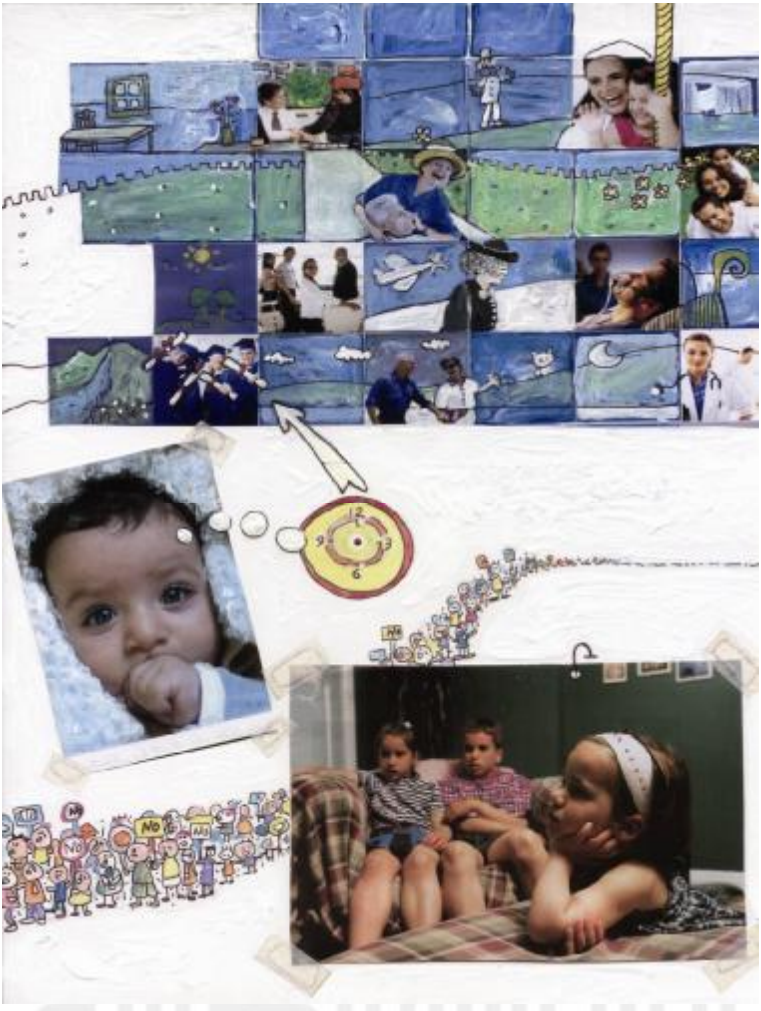

قال: "- كما ترغب، أما الآن فتفضل وتعال معي !"

رد الطيار بانحناءة خفيفة. وبدا للمدير أن هذه الانحناءة كانت لطيفة جداً، ففكر: "ألا يسخر مني؟ على كل حال سيخرج من مطاري بملامح مغايرة تماماً".

في تلك الأثناء تابع الرحالة الغامض: "- ليكن في معلومك أنهم ينتظرونني. ينتظرونني على أحرَّ من الجمر".

"- والمفترض في منتصف الليل من أجل الاحتفال بالعام الجديد؟"

"- صحيح تماماً أيها الغالي !"

"- لكنني، كما ترى، أؤدي واجباتي الوظيفية، وسأقضي ليلة رأس السنة كلها هنا، في المطار. وستُضطَّر أنت أيضاً إلى مصاحبتي إذا ما أصررتَ على عِنادكَ ولم تبرز لي وثائقك".

جلس الغريب (كانا في تلك الأثناء قد دخلا مكتب المدير) بهدوء على الأريكة، وأشعل غليونه وراح يتفحص المكان حوله باهتمام.

"- وثائق؟ لكنها معك أيها السينيور المدير".

"- حقاً؟ ينتج أنك استطعت، على اعتبار أنك ساحر، أن تدسها في جيبي؟ وستخرج الآن حالاً بيضةً من أنفي، ومن أذني ستخرج الساعة؟"

عوضاً عن أن يجيب أشار الغريب إلى التقويم الملون الجديد، المعلق على الجدار عند منضدة الكتابة.

"- هذه وثائقي. أنا الزمن. وفي أكياسي الاثني عشر توجد الأشهر الاثنا عشر، التي ينبغي أن تبدأ بعد ... هاك، انظر... بعد تسع وعشرين دقيقة".

أجاب السينيور المدير برصانة: "- ما دمت الزمن، فأنا في هذه الحال طائرة نفاثة. أرى أنك تحب المزاح. ممتاز! هذا معناه أنني لن أصاب بملل. ومع ذلك سأفتح التلفزيون إذا لم يكن لديك اعتراض. لا أريد أن تفوتني بداية العام الجديد".

"- افتحه، افتحه! لكن لن يكون أي عام جديد ما دمت تحتجزني هنا".

كانوا يعرضون في التلفزيون حفل العيد، وكانت المذيعة الحسناء تذكّر من وقت إلى آخر، بعد أن تنظر إلى الساعة المعلقة على الجدار وراء الفرقة الموسيقية، فوق رأس ضارب الطبل مباشرة:

"- بقي حتى العام الجديد خمس وعشرون دقيقة... بقي حتى العام الجديد اثنتان وعشرون دقيقة..."

بدا أن الطيار المجهول كان مستمتعاً من كل قلبه بالفرجة على التلفزيون. كان يردد الأغنية مع المغني، ويضرب الإيقاع بقدمه مع الفرقة الموسيقية، ويضحك بمرح على تهريج المهرجين.

ابتسم السينيور المدير: "- بقيت دقيقة واحدة للعام الجديد. مؤسف تماماً أنني لا أستطيع أن أعرض عليك كأساً من الشمبانيا. لا أشرب في أوقات العمل أبداً".

"- شكراً، لكن لم يعد ثمة حاجة إلى الشمبانيا. توقف الزمن. انظر إلى ساعتك".

نقل السينيور المدير نظره لا إرادياً إلى ميناء ساعته اليدوية وقربها من أذنه، وفكر: "غريب، إنها تتكتك، لكن عقرب الثواني واقف في مكانه، يبدو أنها معطلة".

وراح يعـدُّ الثـواني. عـدَّ سـتين ثانيـة واكتـشف أن عقـرب الـدقائق لا يتحـرك أيـضاً، ولا يـزال يـشير كالـسابق إلى الثانيـة عـشرة إلا دقيقـة. كـذلك توقـف في الـساعة الكـبيرة علـى شاشـة التلفزيون.

شرحت المذيعة مرتبكةً: "- ربما حدث عطل صغير..."

شـرع العـازفون والمغنـون والمهرجـون والنظـارة الموجـودون في الاسـتديو يفحـصون جميعهم سـاعاتهم ويهزونهـا، ويـستمعون إليها بدهشة، وكأن أحدهم قد أعطاهم أمراً بذلك. وسـرعان مـا اقتنع الجميع بأن العقارب ما عادت تتحرك حقّاً.

صاح أحدهم ضاحكاً: "- ها – ها! توقف الزمن! لا شـك أنـه شـرب كـثيراً مـن الـشمبانيا وغفـا مـن غـير أن ينتظـر منتـصف الليل".

رمى مدير المطار نظرة قلقة إلى الغريـب، فابتـسم هـذا الأخـير لـه بلطف:

"- هل رأيت؟ أنت المذنب!"

"- كيف أنا؟.. ما شأني هنا؟"

"- هل ما زلت غير مصدق أنني الزمن؟ انظر إلى هذه الزهرة..."

كانت على منضدة المكتب وردة ناضِرةٌ في المزهرية- لقد أحب المدير أن يكون في مكتبه أزهار.

"- هل تريد أن ترى ما سيحدث لها حين ألمسها؟"

اقترب الغريب من المنضدة، ونفخ بخفة على الزهرة. تجعدت الأوراق في الحال، وجفت، وسقطت متناثرة هباءً. لم يبق من الوردة الرائعة إلا حفنة غبار...

قفز السينيور المدير، واندفع نحو الهاتف.

مرت فيما مضى أزمنة كانوا ينقلون الأخبار فيها إلى الدنيا كلها على الجياد، وكانت تسيل مياه كثيرة حتى تطوف العالم كله. فمثلاً كان نبأ بدء الحرب في بريزغوفيا يصل إلى بريسلاندیا حين تكون الحرب قد انتهت، وعادَ الجنود الباقون على قيد الحياة إلى منازلهم.

في أيامنا هذه يلف الراديو والتلفزيون الأرض كلها بشبكة غير مرئية هائلة. تلتقط الأخبار بهذه الشبكة مثل الأسماك، وتنتقل في ثوان قليلة من القطب إلى القطب الآخر.

بعد مضي بضع دقائق على اتصال السينيور المدير، صار الجميع يعرفون في كل مكان- في أمريكا، وفي سنغافورة، وفي تنزانيا، وفي نوفوسيبيرسك- أن الزمن محتجز في مطار صغير لعدم وجود وثائق في حوزته. في الحال فتح ملايين الناس المنتظرين حلول العام الجديد زجاجات الشمبانيا، وملأوا الكؤوس، وراحوا يتبادلون الأنخاب الفرحة. تحركت المواكب الاحتفالية في شوارع ميلانو وباريس وجنيف ولندن؛ إلى آخره. وقد كتبت "إلى آخره" بخط غامق لأنني أعني جميع المدن الأخرى التي يستحيل عدُّها كلها تباعاً.

صاح الناس بلغات الأرض كلها: "- هييه! توقف الزمن! لن نشيخ بعد الآن! ولن نموت أبداً!"

راح جرس الهاتف يرن في مكتب السينيور المدير بغير انقطاع. اتصلوا بالمدير من أصقاع الأرض كلها، وطالبوه:

"- امسك الزمن جيداً!"

"- ضع القيود في يديه!"

"- إلوِ رقبته!"

"- دسَّ له منوماً!"

"- أي منوّم- دسّ له سم الفئران!"

أخبر رئيس الوزراء زملاءه بما حدث. واجتمع مجلس الوزراء على عجل، وكان جدول الأعمال مؤلفاً من مسألة وحيدة: ما الإجراءات الواجب اتخاذها؟ تحويل توقيف الزمن إلى اعتقال أم إطلاق سراحه؟

هدر وزير الداخلية:

"- إطلاق سراحه؟ لن يحدث هذا أبداً! يكفي أن نسمح للناس بالتسكع في كل مكان من غير وثائق، حتى نضيع! يجب أن يبلغنا هذا السينيور ما اسمه وما اسم أبيه وما لقبه، وأين مكان ولادته، ومكان قيده، ومكان إقامته، ومواطنيته، وما هي جنسيته، ورقم جواز سفره، ومقاس حذائه ومقاس

قبعته. عليه إبراز دفتر لقاحاته، ووثيقة حسن سلوك، وشهادة تدل على إنهائه المدرسة الابتدائية، وإيصال بتسديد الضرائب. أضف إلى ذلك أن في حوزته اثنيْ عشر كيساً كاملاً! فهل دفع التعرفة الجمركية؟ إنه يرفض فتحها! ماذا لو كانت فيها قنابل؟"

كان للوزير من العمر اثنان وسبعون عاماً، لذلك فإنكم تفهمون، طبعاً، لماذا هو مهتم بأن تتوقف الساعة..

قرر مجلس الوزراء أن يعرف رأي هيئة الأمم المتحدة. في ذلك الوقت لم يكن هناك سوى البوّاب، لأن أعضاء هيئة الأمم المتحدة جميعاً تفرقوا إلى منازلهم ليستقبلوا العام الجديد.

"- كم من الوقت نحتاج كي نعقد اجتماعاً للجمعية العمومية؟"

"- أسبوعين تقريباً... لكن ما دام الزمن قد توقف، فلن يمر أسبوعان، ولن نستطيع عقد اجتماع الجمعية العمومية".

هذا النبأ جاب العالم كله أيضاً، ناشراً مزيداً من الفرح العارم في كل مكان.

لكن بعد مضي وقت...

عموماً، ليس من حقي أن أكتب هذه الجملة: بما أن الزمن قد توقف، فعبارة "بعد مضي وقت" تصير من غير معنى.

اختصاراً، عرف أحد الصبيان بالأمر، بعد أن أيقظه الضجيج، وحسب بسرعة كم يساوي اثنان ضرب اثنين، فشعر بالاستياء:

"- ماذا؟ سيظل طوال الوقت الآن؟ ينتج من ذلك أنني لن أكبر أبداً؟ وسأظل طول العمر أتلقى الضربات على قذالي من أبي؟ عليَّ أن أحل طول العمر المسألة عن اللحام الذي يشتري زيت الزيتون، بينما نضطر، نحن التلاميذَ المساكينَ، إلى أن نحسب كم دفع من النقود وكم بقي معه؟ لا، شكراً لكم جزيلاً! أعترض!"

أمسك سماعة الهاتف أيضاً، وراح يعلن حالة الطوارئ – لقد اتصل بأصدقائه. وطبعاً، كان لدى أصدقائه أصدقاء أيضاً، وإخوة، وبنات خال وخالة، وغيرهن من الأقارب. اضْطُرَّ الهاتف إلى أن يعمل عملاً غير قليل وهو يصل الواحد بالآخر.

لم يشأ الفتية سماع أي شيء. ارتدوا المعاطف فوق البيجامات، وخرجوا إلى الشوراع، وساروا في مظاهرة أيضاً. لكن مطالبهم وشعاراتهم اختلفت اختلافاً شديداً عن تلك التي رفعها الكبار.

صاح الفتية: "- حرروا الزمن! لا نريد أن نبقى صغاراً العمر كله!"

"- نريد أن نكبر!"

"- أريد أن أصير مهندساً!"

"- أريد أن يحل الصيف!"

"- أريد أن أسبح في البحر!"

تنهد أحد المارة: "- أغبياء! يفكرون بالبحر في مثل هذه اللحظة التاريخية!"

أشار مارٌّ آخر: "- لكنهم، ربما محقون في أمر واحد. إذا لم يسر الزمن فسيظل طوال الوقت ٣١ كانون الأول!"

"- سيظل الشتاء إلى الأبد..."

"- سيظل منتصف الليل إلا دقيقة واحدة! ولن نرى بعد الآن شروق الشمس!"

أصاب القلق إحدى السينيورات: "- زوجي مسافر، كيف سيعود إلى المنزل إذا لم يمض الوقت؟"

راح المريض القابع في المستشفى يشكو:

"- أي- أي... لم يوقفوا الزمن إلا حين كان رأسي يؤلمني! معنى ذلك أن ألم الرأس سيلازمني دوماً، وإلى الأبد؟"

شعر بالاستياء أيضاً السجين الممسك بقضبانِ نافذة زنزانته:

"- هل معنى ذلك أنني لن أخرج إلى الحرية أبداً؟"

وقلق الفلاحون:

"- من غير هذا والمحصول من سيئ إلى أسوأ... إذا لم يمض الزمن ويحل الربيع فسيموت كل شيء... لن يبقى لنا ما نأكله!"

اختصاراً، سرعان ما صارت ترد إلى مدير المطار اتصالات هاتفية مختلفة تماماً:

"- هل ستطلقه في نهاية الأمر أم لا؟ إنني أنتظر حوالة بريدية. أو، ربما، ستجلبها لي بنفسك ما دمت لن تطلق سراح الزمن؟"

"- أَطْلِقْ سراح الزمن من فضلك أيها السينيور المدير! لقد تعطل الصنبور لدينا، وإذا لم يأت الغد فلن نستطيع استدعاء السمكري..."

أما السينيور زمن فكان مرتاحاً في الأريكة، ويدخن غليونه مبتسماً.

احتار السينيور المدير: "- ماذا أفعل؟ أحدهم يقول شيئاً، والآخر يقول شيئاً آخر... سأغسل يدي من هذه القضية! سأطلق سراحك..."

"- أحسنت، شكراً...".

"- لكن... من غير أوامر من الأعلى... إنك تفهم بالطبع أنني أغامر بمركزي..."

"- لا تطلقني إذن. ليست حالي سيئة هنا!"

ثم تردد رنين آخر للهاتف:

"- لقد شب حريق! إذا لم يمض الوقت، لن يأتي رجال الإطفاء! سنحترق كلنا! يوجد هنا مسنون وأطفال... هل من المعقول أنك لا تستطيع فعل شيء أيها السينيور المدير؟"

وهنا ضرب المدير المنضدة بقبضته :

"- حسناً. ليكن ما يكون! سآخذ على عاتقي المسؤولية. اذهب، أنت حر!"

وقف السينيور الزمن في الحال :

"- اسمح لي أيها السينيور المدير أن أشد على يدك. أنت إنسان طيب".

فتح السينيور المدير الباب أمامه :

"- اذهب. بسرعة، قبل أن أغير رأيي".

وخرج السينيور الزمن من المكتب. تحركت العقارب في الساعات من جديد. وبعد ستين ثانية دقت الساعة معلنة منتصف الليل، وانطلقت في كل مكان الأضواء البنغالية. لقد بدأ العام الجديد.

كارلينو، كارلو، كارلينو

أو كيف نجعل الفتيان يقلعون عن العادات السيئة

قالت القابلة للسينيور ألفيو، وهي تريه الوليد الذي جلبوه للتو من دار التوليد: "- هذا ولدك كارلينو".

سمع السينيور ألفيو في الحال صوتاً طفولياً عالياً:

"- ما معنى كارلينو. كفوا عن هذه الأسماء التصغيرية. سموني كارلو، أو باولو، أو فيرتشينجينتوريجي، سموني لو شئتم ليوبارد، لكن ليكن اسماً طبيعياً، اسماً تاماً! هل فهمتموني؟"

نظر السينيور ألفيو بذهول إلى الرضيع الذي لم يفتح فمه. لكن كلماته ظهرت بطريقة ما في وعيه مباشرة. كما فهمت القابلة أيضاً ما أراد أن يقول.

تعجَّب السينيور ألفيو:

"- غريب، في مثل صغره وينقل الأفكار عن بعد!"

أشار الصبي:

"- شاطر، فهمت فهماً صحيحاً! لا أستطيع التحدث بوساطة الحبال الصوتية التي لم تتكون لديّ بعد".

اقترح السينيور ألفيو وقد أصيب بحيرة تامة:

"- فَلْنَضَعْهُ حالياً في السرير، وسنرى ما يحدث لاحقاً".

وضعاه في السرير قرب أمه النائمة. خرج السينيور ألفيو من الغرفة دقيقة. أراد أن يقول لابنته البكر أن تطفئ المذياع لأنه يزعج الصغير، لكن الصغير استطاع أن يوقفه:

- "ما الذي تنوي فعله يا بابا! دعني أكمل سماع سوناتا شوبرت على الأربيجون..."

ذهل السينيور ألفيو:

"- الأربيجون؟ أظن أنه الفيولونشيل..."

"طبعاً الفيولونشيل! الآن فقط صاروا يعزفون عليه هذه المقطوعة التي ألفها شوبرت عام ١٨٢٤. في ليا مينور إذا ما أردنا

أن نكـون دقـيقين حتـى النهايـة. لكنـه كتبهـا للأربيجـون تحديـداً -وهي قيثارة كبيرة ذات ستة أوتار، اخترعها قبل عام من ذلك الوقـت صـانع الآلات الفينـسياني يوهـان غيـورغ شـتاوفر. لقـد سَمَّوْا هذه الآلة أيضاً قيثارة الحب، أو القيثارة - الفيولونشيل. لكنهـا لم تنتـشر كـثيراً، وعاشـت زمنـاً قـصيراً، بينمـا الـسوناتا لطيفة جداً".

تمتم السينيور ألفيو: "- أرجو المعذرة من فضلك، لكـن مـن أين عرفت هذا كله؟"

أجاب حديثُ الولادة بطريقة التخاطب عن بعد نفسها: "يـا إلهي! إنك تضع أمامي هنا في الخزانة معجماً موسيقياً رائعـاً، ثـم تعجَبُ لماذا أرى على الصفحة الثانية والثمانين من الجزء الأول ما كتب عن الأربيجون؟"

استنتج السينيور ألفيو من ذلك أن ابنه ليس قادراً فقط على نقل الأفكار عن بعد، بل يستطيع أيضاً قراءة الكتب المغلقة. حتى من غير أن يتعلم القراءة والكتابة.

حين استفاقت أمه أخبروها بحذر شديد عن الأحداث التي جرت، لكنها مع ذلك انفجرت باكية. أضف إلى ذلك أن أي منديل لم يكن بالقرب منها لتجفف دموعها. وهنا رأت كيف فتح في الحال فجاءة دِرج الخزانة الصغيرة من تلقاء نفسه، ومن غير أي ضجيج، وطار منه، وقد ظل مطوياً بعناية، منديل ناصع البياض، مغسول بـ "برونكا" – مسحوق الغسيل المحبب للملكة إليزابيت. حطَّ المنديل على الوسادة بالقرب من السينيورة أديلي، وغمز لها كارلو الصغير في أثناء ذلك من سريره.

سأل الحاضرين ذهنياً:

"- هل أعجبكم؟" - اندفعت القابلة خارجةً من الغرفة، ورافعةً يديها نحو السقف. أما السينيورة أديلي، وعلى الرغم من أنها كانت مستلقية في الفراش، فقد سقطت مغشياً عليها. وأشعل السينيور ألفيو سيجارة، لكنه أطفأها في الحال- لم يكن هذا ما أراد القيام به.

قال بعد ذلك: "بنيّ، لقد ظهرت لديك عادات سيئة، لا يمكن بأي حال أن تتوافق مع قواعد السلوك المتبعة. منذ متى يفتح الأطفال المهذبون خزانات أمهاتهم، من غير أن يطلبوا الإذن لفعل ذلك؟"

دخلت الغرفة الابنة البكر أنتونيا، أو تيتشي كما سَمَّوْها أيضاً، ذات الخمسة عشر عاماً وخمسة أشهر. حيت أخاها بفرح:

"- تشاو! كيف حالك؟"

"- عموماً ليست سيئة. قلقت قليلاً. عموماً، هذا مفهوم – فأنا أولد أول مرة".

"- فَلْيأخُذْك الشيطان! هل تتحدث بالتخاطب عن بعد؟ أحسنت! اشرح لي كيف تفعل ذلك".

"- هذا بسيط جداً! إذا أردت أن تقولي شيئاً، فلا تفتحي فمك، بل أغلقيه - وهذا كل شيء. هذا أيضاً صحيّ".

هتف السينيور ألفيو، وقد غضب أشد الغضب:

"- كارلو! من فضلك، لا تبدأ تؤثر فوراً تأثيراً سيئاً على شقيقتك، الفتاةِ المهذبة".

تنهدت السينيورة أديلي، وقد عادت إلى رشدها:

"- يا إلهي! ماذا ستقول البوّابة، ماذا سيقول أبي موظف البنك ذو الصلابة القديمة والطباع الصارمة، وآخر أحفاد سلالة كاملة من العقداء الفرسان!"

قالت تشيتشي:

"- حسناً، إلى اللقاء! سأذهب لأتمم واجباتي. بقي واجب الرياضيات".

سألها كارلو ساهماً: "الرياضيات؟ آ، فهمت! إقليديس، وهاوس وما شابههما. لكن ليكن في معلومك، ما دمت تستعملين هذا الكتاب الذي بين يديك، أن جواب المسألة رقم ١١٨ غير صحيح. س لا تساوي الثلث، بل اثنين على ثلاثة وأربعين".

نطق السينيور ألفيو بمرارة: "- لا، انظروا إليه! إنه يسمح لنفسه، مثل الصحف اليسارية، بأن ينتقد الكتب المدرسية!"

في اليوم التالي جلس في مكتب الطبيب، حدثه بالتفصيل عن كل ما يحدث مع ابنه، أما خلف الباب في غرفة استقبال المرضى فكانت السينيورة أديلي تكاد لا تستطيع الإمساك بكارلو الصغير إلا بصعوبة.

تنهد الدكتور فوييتّي: "- نعم، لم يبق شيء مقدس! ما الذي سيحدث بعد هذه الإضرابات كلها! محال أن يجد المرء مدبرة منزل! ممنوع على الشرطة إطلاق النار! الفلاحون لا يرغبون في تربية الأرانب! جرب فقط أن تدعو سمكرياً، وسترى... نعم، أرني الطفل..."

ما إن دخل كارلو المكتب حتى حزر على الفور من علامات مفهومة له وحده أن السينيور فوييتّي قد عاش بضعة أعوام في زغرب. لذلك كلمه باللغة الكرواتية (ذهنياً، وهذا مفهوم): "دوكتور، فرولو تيشكو بروبافليام، تشيستو أوسيكام كيسيلي أوكوس، أوسوبيتو نيكا إييلا ني موغو بروبافيتي".

(الترجمة : "دكتور، معدتي لا تعمل جيداً، كثيراً ما أشعر بالحرقة، ولا أستطيع أن آكل بضعة أطعمة").

جعلت المفاجأة الدكتور يجيبه باللغة نفسها :

"- إيزفولتي ليتشي نا باستيليو، موليم فاس... (استلق من فضلك على المتكأ...)".

ثم أمسك رأسه وشرع يعمل. استمر الفحص التام للرضيع يومين وستاً وثلاثين ساعة. لقد دلّ على أن كارلو الصغير يستطيع في عمر سبعة وأربعين يوماً :

- أن يقرأ في رأس الدكتور فوييتّي أسماء أقاربه جميعاً حتى أبناء عمه من الجيل الرابع، وكذلك أن يكتسِبَ المعارف العلمية والأدبية، والفلسفية كلها، والمعارف المتعلقة بكرة القدم التي تراكمت فيه ابتداءً من طفولته المبكرة نفسها ؛

- أن يجد طابع غواتيمالا المخبّأ تحت سبعة عشر كيلو غراماً من الكتب الطبية ؛

- أن يحرك كيفما يشاء، وبنظرة واحدة فقط مؤشر الميزان، الذي تزن عليه الممرضة المرضى ؛

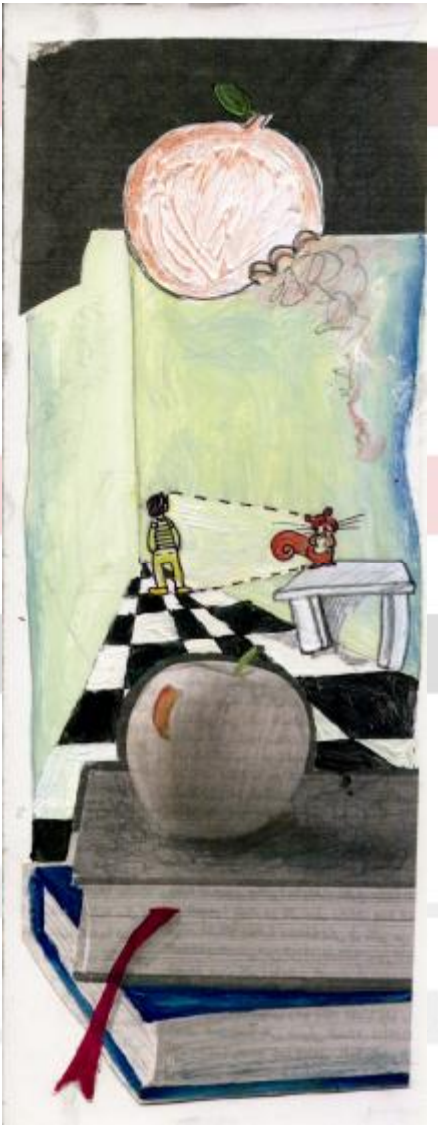

- أن يستقِبَلَ البرامج الإذاعية وأن يرسلَها، بما فيها ذات الموجات القصيرة وذات الأصوات المجسمة ؛

- أن يسقِطَ البرامج التلفزيونية على الجدار، من غير أن يخفي في أثناء ذلك شيئاً من الامتعاض نحو برنامج المسابقات "غامر بكل شيء" ؛

- ويستطيع حياكة الثقب على قميص الدكتور بوضع اليد ؛

- وأن يشخص، بعد أن ينظر إلى صورة المريض، ألماً حاداً في بطنه، ويشخص التهاب الزائدة الدودية من غير خطأ ؛

- أن يطهو عصيدة السميد عن بعد ومن غير نار.

عدا ذلك فإنه قادر على أن يرتفع عن الأرض مسافة خمسة أمتار وتسعة عشر سنتيمتراً، وأن يُخرِج بقوة الفكر وحدها الميدالية من علبة السيجار المحزّمة بثلاث بكرات من الشريط اللاصق، وأن ينزع عن الجدار لوحة جوليو توركانو، وعلى تجسيد سلحفاة في خزانة الأدوات الطبية وغريرٍ في الحمّام، ومغنطة الكرسنتيمات الذاوية، معيداً إليها نضارتها وبريق ألوانها ؛ سردَ تاريخ الأدب الروسي في القرن التاسعَ عشر

بالتفصيل مع كثير من الشواهد بلمس حجر من الأورال، تخنيطَ الأسماك والطيور الميتة ؛ إيقافَ تخمير الخمرة إلى آخره.

سألت السينيورة أديلي المصعوقة: "- وهل هذا خطِرٌ؟"

أجاب الدكتور فوييتّي: "- حال ميئوس منها تقريباً. إذا كان قادراً على مثل هذا في يومه السابع والأربعين، فتخيلي ما يستطيع فعله حين سيصير عمره سبعة وأربعين شهراً!"

"- وحين يصير سبعة وأربعين عاماً؟"

"- أوه، مع حلول ذلك الوقت سيكون قابعاً في المعتقل منذ زمن طويل".

هتفت السينيورة أديلي: "- أي عار سيجلبه لأجداده!".

سأل السينيور ألفيو: "- ولا نستطيع فعل شيء؟"

أجاب الدكتور: "- قبل كل شيء يجب أن نخرجه من هنا، ونعطيه حزمة من "الصحف الرسمية". سينشغل بها ولن يسمع حديثنا. على كل حال يمكن أن نأمل في أنه لن يسمعنا".

سأل السينيور ألفيو بعد أن أنجزت مهمة "الصحيفة الرسمية": "- ما العمل الآن؟"

ظل الدكتور فوييتّي يهمس بشيء ما في أذنه اليمنى مباشرة مدة عشر دقائق، معطياً إياه، كما هو واضح، التوجيهات المباشرة والتعليمات الضرورية جداً التي نقلها السينيور ألفيو كذلك مباشرة إلى أذن السينيورة أديلي اليسرى.

هتف السينيور ألفيو فرحاً:

"- لكن هذه بيضة كولومبوس[1]!"

سأل كارلو عن بعد من وراء الباب: "أيُّ كولومبوس؟ كريستوفر أم إميليو؟ على المرء أن يكون دقيقاً في عباراته".

غمز الدكتور للسينيور ألفيو والسينيورة أديلي. ابتسموا جميعاً، وظلوا صامتين.

غضب الصبي، وفتح بقوة عقله الخارقة ثغرة في الجدار: "سألت عن أيِّ كولومبوس يدور الكلام!"

---

(١) حلٌ ذكي لمسألة صعبة، مخرج بسيط بساطةً غير متوقعة من وضع صعب. العبارة مأخوذة من القصة الدارجة عن كيف استطاع كولومبوس إيقاف البيضة على المنضدة بعد محاولات الحاضرين الفاشلة، إذ كسر طرفها المدبب، فأبقاها واقفة.

أما هم فظلوا صامتين مثل الأسماك المسلوقة. حينذاك كان كارلو مضطراً كي يسمعوه إلى اللجوء إلى وسائل اتصال أخرى، فبكى شاكياً:

"- واع، واع، واع!"

همس السينيور ألفيو مبتهجاً: "- بدأت تؤثر!"

أمسكت السينيورة أديلي يد الدكتور فوييتّي وقبلتها، وهي تهتف:

"- شكراً، يا بارئنا! سأكتب اسمك في دفتر يومياتي!"

ألح كارلو الصغير: "- واع، واع!"

فرح السنيور ألفيو، وهو يدور راقصاً الفالس:

"- إنها تؤثر!"

هذا طبيعي تماماً. السر بسيط – يكفي أن يتظاهروا وكأنهم لا يتقبلون أفكاره، وسيكون كارلو مجبراً على أن يسلك سلوك الأطفال الطبيعيين، ويتكلم مثل آخر الأميين.

يتعلم الأطفال كل شيء بسرعة، ويستطيعون بسرعة أيضاً نسيان ما تعلموه. وبعد نصف عام، ما عاد كارلو يتذكر أنه كان يتفوق بقدراته على مذياع الترانزيستور.

وفي ذلك الوقت كانت الكتب كلها قد اختفت من المنزل، بما فيها الموسوعات. وحين لم يعد بإمكانه التدرب على قراءة الكتب المغلقة فقد الصبي - وافرحةَ الجميع - هذه الموهبة. كان قد حفظ عن ظهر قلب "الكوميديا الإلهية" لدانتي، لكنه نسيها. حين شفي من علله صار أقل إزعاجاً بكثير للمحيطين به.

ظل عامين أو ثلاثة أخرى يتسلى برفع الكراسي بنظرة واحدة، أو بإجبار الدمى على الرقص من غير أن يلمسها، وبنزع قشور اليوسف أفندي عن بعد، وبتغيير الأسطوانات على الحاكي بأن يدس إصبعه في أنفه، لكن شاء الله بعد ذلك أن يذهب في نهاية الأمر إلى روضة الأطفال، حيث عَرَضَ أول مرة لأصدقائه، كي يسليهم، كيف ينبغي السير على السقف والرأس متدل إلى أسفل. لكنهم عاقبوه على ذلك بأن أوقفوه في الركن. حزن كارلو بشدة، حتى إنه أقسم على أن يتولع بتطريز

الفراشات غارزاً الإبرة في النقاط المحددة خصيصاً من أجله على قطعة القماش من قبل المربية المهتمة.

في السابعة من عمره ذهب إلى المدرسة الابتدائية، وجسّد على منضدة المعلمة أنموذجاً رائعاً للضفدعة. لكن المعلمة، بدَلَ أن تستغل الفرصة وتشرح للأطفال ما هي البرمائيات القافزة، وكم هي لذيذة في الحساء، استدعت المناوب، وأرسلت كارلو إلى المدير. أما هذا السينيور فشرح للولد أن الضفادع حيوانات غير جدية، وهدده بالفصل من مدارس البلاد ومدارس المجموعة الشمسية كلها إذا سمح لنفسه مرة أخرى أن يقومَ بمثل هذا المزاح.

سأل كارلو: "- وهل يمكنني أن أقتل الجراثيم على الأقل؟"

"- لا! ثمة أطباء لهذا الغرض".

جسّد كارلو، وهو يتأمل في هذه الملحوظة الهامة، وردةً متفتحةً في سلة الأوراق. استطاع في الوقت المناسب، لحسن حظه، أن يلغيها من الوجود، ولم يلحظ المدير شيئاً.

"- اذهب" - نطق المدير بذلك على نحو احتفالي، وهو يشير بسبابته إلى الباب (كانت هذه إشارةً زائدة، إذ لم يكن يوجد سوى باب واحدٍ للغرفة، وكان من الصعب جداً الالتباس بينه وبين النافذة)- "اذهب، وكن طفلاً مطيعاً، لتصير قرة عين والديك".

ذهب كارلو. وصل إلى المنزل وصار يدرس دروسه، فعل كل شيء على نحو صحيح.

قالت تشيتشي وقد ألقت نظرة على دفتره: "- أي غبي أنت!"

هتف كارلو، وكاد قلبه يقفز من صدره ابتهاجاً: "- حقاً؟ هل يعقل أنني صرت أغبى مما كنت؟"

من فرحته جسّد على المنضدة سنجاباً، لكنه جعله غير مرئي على الفور، كي لا يثير شكوك تشيتشي. حين غادرت تشيتشي إلى غرفتها، جرّب مرة أخرى تجسيد السنجاب، لكنه لم ينجح. حينئذ جرّب تجسيد خنزير هندي، وخنفسة وبرغوثاً. لم ينجح مرة أخرى.

تنهد كارلو:

"- أحسن، هذا معناه أنني أقلعت تماماً عن العادات السيئة".

وحقّاً، صاروا يدعونه الآن من جديد كارلينو، حتى إنه ما عاد يذكر أنه عارض ذلك في وقت من الأوقات.

❖ ❖ ❖

الهيئة العامة السورية للكتاب

الوردة والسوط

اشترى السينيور مامبريتي، مالك معمل قطع غيار مفاتيح القوارير الذي تحدثنا عنه أكثر من مرة، بستاناً فيه عديدٌ من أشجار الفاكهة. وقد عيَّن فورتونينو بستانياً لديه.

سأل السينيور مامبريتي ما إن سمع اسمه: "- ما هذا الاسم الغبي الذي منحك إياه أبوك؟"

"- على شرف المايسترو فيردي يا سيدي".

"- لكن فيردي، كما يخيل لي، كان اسمه جوزيبّي".

"- جوزيبّي- هذا صحيح. لكن اسمه الثاني كان فورتونينو، والثالث، فرانشيسكو".

قال السينيور مامبريتي: "- حسناً، حسناً. الأفضل أن نتحدث عن الأجاص. غداً سيتغدى عندي السينيور مامبريني

والسينيور مامبريللو، وأريد أن أقدم لهما ثماراً من بستاني. لذلك قدم لنا على المائدة سلطانية بأبهى ثمار الأجاص".

شحب لون فورتونينو:

"- سينيور، لكن لا يوجد الآن أي أجاص".

نظر إليه مامبريتّي دهشاً.

قال: "- كيف هذا؟ شجرة الأجاص كما أظن سليمة ومعافاة..."

"- هذا صحيح. فأنا أعتني بها جيداً. التسميد ومكافحة الحشرات والتطمير إلى آخره. وفاقاً للقواعد كلها".

"- أحسنت! إذن ماذا تفعل هذه الشجرة في بستاني؟ يجب ضربها بالعصا كما يجب. هل جرّبت؟ هل وضعت لها علامة الصفر في دفتر الأعمال؟"

"- في أي دفتر أيها السينيور؟"

"- معنى هذا أنه حتى الدفتر غير موجود لديك؟ وتقول أيضاً - وفاقاً للقواعد كلها! عزيزي فورتونينو، عليك أن

تكون صارماً مع النباتات. الانضباط والنظام قبل كل شيء! انظر!"

أخذ السينيور مامبريتي عصا، خبأها وراء ظهره واتجه إلى شجرة الأجاص التي كان في مقدورها لو استطاعت أن تغني: "أسمع خطا القائد..."

وجه السينيور مامبريتي كلامه إلى الشجرة: "- ما هذا الذي يحدث؟ نتشاقى، إذن؟ ركبت الرعونةُ رأسك؟"

قاطعه فورتونينو: "- لكن يا سينيور..."

"- صمتاً! من صاحب المكان هنا؟"

"- السينيور مامبريتي".

"- تماماً! أحسنت! وها أنا أستخدم العصا لأني صاحب المكان".

وشرع يضرب بالعصا جذع الشجرة التي أسقطت من الخوف أزهارها كلها.

رمى السينيور مامبريتي العصا جانباً، ومسح العرق عن جبينه وقال: "- ربما هذا يكفي في المرة الأولى. العقاب جيد

على قدرِ الذنب. يجب أن يكون المرء عادلاً. سترى أي أجاص رائع سيثمر غداً على هذه الشجرة!"

أراد فورتونينو المسكين أن يعترض قائلاً إن الشجرة لن تعطي الثمار بعد الآن، لا غداً، ولا بعد نصف عام، لأنها بقيت من غير أزهار. لكن بما أنه لم يكن معلّماً في الكلام، فقد اختفى السينيور مامبريتي في المنزل حتى قبل أن يفتح فمه.

تمتم فورتونينو: "- يا إلهي، ماذا سيحدث غداً؟ أنا واثق من أنه سيغضب، وستنال شجرة الأجاص وجبة أخرى من الضرب بالعصا".

فكر بهذا الأمر اليومَ كلَّه، ووصل أخيراً إلى فكرة ينقذ بها الشجرة التعسة. ذهب إلى المنزل، وفتح حصالته، وأسرع إلى المدينة، إلى الحانوت الذي يبيعون فيه بواكير الفواكه والخضار، وحيث توجد ثمار الأجاص في أي وقت من أوقات السنة. اشترى كيلو غرامين، وانتظر حتى حلول الظلام، ثم عاد إلى البستان وعلّق الأجاصات الرائعة واحدةً واحدةً على أغصان الشجرة، لكن ليس كيفما اتفق، بل على أجمل وجه. إحدى

الثمار، ذات الحسن البراق هنا، واثنتان أخريان، متماثلتان تماماً هناك، أما على الغصن الأعلى فعلق ثلاثاً دفعة واحدة - اثنتين كبيرتين وواحدة صغيرة - مثل أسرة سعيدة في نزهة!

حل الصباح، وجاء السينيور مامبريتي ليرى ما يحدث في البستان. رأى الأجاص على الشجرة، فصار يفرك يديه راضياً:

"- هل رأيت؟ هل رأيت؟ يا عزيزي فورتونينو، هذه أروع ثمار أعطتها شجرة أجاص من الجنوب من فيرونا، إلى الشمال حتى بيستويا! وهذا كله لأن العصا فعلت فعلها. اقطفها وخذها إلى زوجتي. وتذكر أن اللطف مع الأشجار لا لزوم له. يجب مطالبتها بالطاعة العمياء التامة المطلقة! فإن لم تعزف على الوتر المطلوب فينبغي معاقبتها، هل فهمتني؟"

احمرّ فورتونينو المجيد وأحنى رأسه. لم يستطع أن يقول الحقيقة، كما أن ضميره لم يكن يسمح له بالكذب، فقرر أن يصمت. عموماً كان صاحب المكان راضياً اليوم، وغداً سيتضح الأمر.

في اليوم التالي جاء السينيور مامبريتي من جديد إلى البستان وقال إنه يحتاج إلى أزهار.

شرح لفورتونينو: "- وبيضاء لزاماً! لأنها من أجل شقيقتي، واسمها بيانكا، وهذا معناه بيضاء. هل أدركت كم الفكرة محبوكة بدقة؟"

أجاب البستانيّ: "- فهمت يا سينيور. لكن الأزهار البيضاء لم تتفتح بعد، كما ترى".

"- لم تتفتح؟ لماذا تسمح لنفسها بالإقدام على هذا؟ ألا تعرف هذه الأزهار أنني المالك هنا؟"

"- كما ترى، سينيور..."

"- لا أرى شيئاً! ولا أسمع شيئاً. ولا أريد أن أعرف شيئاً. هات السوط"!

"- لا أظن أنك تريد... أن تجلد هذه النباتات التعسة؟"

"- كل نبات يختلف عن النبات الآخر. هذه نباتات كبيرة بما فيه الكفاية، ويجب أن تعرفَ واجباتها. يجب تحطيم العناد في مرحلة الشباب! إذا أحببتَ فعاقب! هاته إلى هنا..."

"- يا لي من تعس...".

"- وما شأنك أنت هنا؟ لستَ أنتَ من أنوي ضربه! أريد فقط أن أريك كيف يمكن إجبار الأزهار على أن تتفتح حين يحتاج صاحبها إلى ذلك، وليس على هواها، ووفاقاً لنزواتها".

وقف فورتونينو مغطياً عينيه، فيما راح السينيور مامبريتي يجلد الوردة. سمع مرةً مثلاً يقول: العين لا ترى والقلب لا يتألم. لكن قلبه تألم على الرغم من ذلك.

"- كل شيء على ما يرام! سترى كيف ستتفتح غداً هذه السينيورة اللطيفة. تنقص الإرادة فقط! مفهوم يا فورتونينو؟ اليد الصلبة! القبضة الحديدة!"

حين بقي وحده شرع فورتونينو يخفف عن الوردة قائلاً لها كلمات لطيفة شتى، من غير أن يساوره شك في أنها تفهمه. حتى إنه وضع على جذورها حبتي أسبرين - عساها لا تتألم كثيراً. لكنه بدأ يشعر بالقلق من جديد.

"- وماذا سيحدث غداً؟"

كل المصاب في أنه لم يكن لديه حصالة أخرى ليفتحها، فاضطر إلى ركوب دراجته والذهاب إلى عديله كي يستلف منه خمسة آلاف لير.

قال عديله فيليبّو:

"- آسف جداً. لكنني صباح اليوم فقط سددت قسط التلفزيون المستحق. لم يبق معي سوى ألف لير. إذا كان هذا يناسبك..."

تنهد فورتونينو:

"- شكراً".

اضطر، كي يجمع الخمسة آلاف لير، أن يزور على التوالي عديله ريكاردو، وعديله راداميس (الذي سَمَّوْهُ كذلك على شرف المايسترو جوزيبي فيردي مؤلف أوبرا "عايدة")، وشقيقة زوجته بيرتولينا التي قرأت له محاضرة عن قرحة المعدة، والعمة بينيديتّا التي سألته مطولاً عن الفرق بين المر والعلقم (فالمر ليس أحلى من العلقم)، وكذلك العمة إينيا (التي سموها هكذا بالخطأ- ظن أبوها أن إينيا اسم مؤنث). وصل في آخر لحظة إلى محل الزهور كي يشتري خمس وردات جلبت من الجنوب.

حين حل الظلام ذهب إلى البستان وربط الوردات بالجفنة، وهمس:

"- لو تكفيه هذه الوردات! لم أستطع شراء أكثر منها من أجلكِ. تعلمين كم الأسعار مرتفعة الآن. السينيور مامبريتي رفع كذلك أسعار قطع غيار مفاتيح القوارير".

لكن صاحب المكان وجد أن الخمس وردات قليلات.

"- لقد قلت دزينتين !"

"- لا، لم تقل ذلك يا سينيور!"

"- ماذا؟ بدأت تجادلني أيضاً! نسيت مكانتك! هات السوط إلى هنا!"

"- لا، كُرْمى لله. كل شيء إلا السوط!"

"- السوط تحديداً!"

ذهب السينيور مامبريتي بنفسه ليجلبه وشرع يضرب الوردة. بعد ذلك، وبما أنه كان في البستان، عاقب شجيرة الزعتر لأن أوراقها اصفرت من أحد الجوانب، وضرب بالعصا شجرة

السرو لأن غصناً من أغصانها انحنى، والأرزةَ لأن أكوازها نمت عاليةً جداً، ولا يمكن قطافها حتى باستخدام السلم.

"- والصفصافة الباكية هذه، لماذا لا تبكي؟ وهذه الشربينة لماذا لا تنمو قط؟ وهذه الأرزة اللبنانية، هل ستطرح جوز الأرز أم لا؟"

توسل إليه فورتونينو والدموع في عينيه: "- كفى، كفى!"

غلى السينيور مامبريتي حنقاً:

"- كفى؟ كفاني، حقّاً، التعامل معك، ومع مايستروك فيردي! أنت مطرود! يمكنك استلام النقود في الإدارة".

بدلاً من الصفصافة الباكية راح فورتونينو يبكي الآن. وهذا لم يكن مناسباً جداً لأن الدموع غطت عينيه، ولم ير إلى أين يجب الذهاب لاستلام النقود، وكان طوال الوقت يقرع الباب الخطأ، ويطردونه من كل مكان.

صاح السينيور مامبريتي موجهاً كلامه إلى الأشجار والشجيرات والورود في بستانه:

"- غداً سآتي وأنظر في حالك! والويل لكِ إذا لم تتعقلي! سأضع للجميع علامة الصفر في السلوك!"

حان المساء. وحل الليل(تماماً في اللحظة التي ينبغي أن يحل فيها - لا دقيقة زيادة، ولا دقيقة نقصان). غرق البستان في العتمة، وغَرِقَ في الصمت. لكن تحت الأرض، حيث الجذور تذهب متضافرة إلى أعماق شتى، ظهرت مؤامرة سرية. اتفقت النباتات على أن تنتقل إلى مرحلة الفعل. لا لزوم للظن أنها مخلوقات خالية من الروح. لا بل إنها تستطيع أن تدافع عن نفسها.

تبادلت الجذور الرأي تحت الأرض طول الليل، ولم يزعجها لا دبيب الفئران ولا المناجذ ولا الديدان.

وفي الصباح جاء السينيور مامبريتي تخالجه أصلب النوايا، فتلفت حوله بكبرياء، وتوجه قبل كل شيء، طبعاً، إلى الوردة.

أشار قائلاً: "- ولا زهرة. ممتاز. هذا ما يجب أن يكون. ينتج من ذلك أنني أحمق، ولست مؤهلاً إلا للثرثرة بلساني. أو ربما كنت أتحدث بالتركية؟ حسنا، لقد أخطأت يا غاليتي! لم يقدر أحد قط على أن يقف في وجهي".

رفع السينيور مامبريتي وهو يقول ذلك السوط مهدداً، وتحرك نحو الوردة ليؤدبها. لكن ما إن خطا خطوة حتى تعثر بالجذر الذي مدته في تلك اللحظة من تحت الأرض الصفصافةُ. تمسك بشجيرة الورد كي لا يقع، فغرزت في يده هذه الأخيرة شوكة طويلة كالخنجر خادشة إياها خدشاً عميقاً. صارت الشربينة تهز بقوة أغصانها العلوية، حتى من غير أن تطلب مساعدة الريح، ثم رمته بأثقل كوز جوز لديها ووزنه نصف كيلو غرام. انفلق، وتناثرت حبات الجوز على الأرض، فهرع السنجاب في الحال وراح يجمعها.

سقط السينيور مامبريتي، وشرع يصرخ غاضباً على الشربينة:

"- عديمةَ الحياء! انتظري، سأريكِ!"

حينذاك رمته الشربينة على رأسه بكوز آخر، ثم بكوز ثالث، وكان الرابع أكبر. انطلق السينيور مامبريتي مولياً الأدبار. فاستغلت شجرة السرو ذلك في الحال. وضعت أسفل أغصانها عثرة في طريقه، ووجد مامبريتّي نفسه ملقى على الأرض من

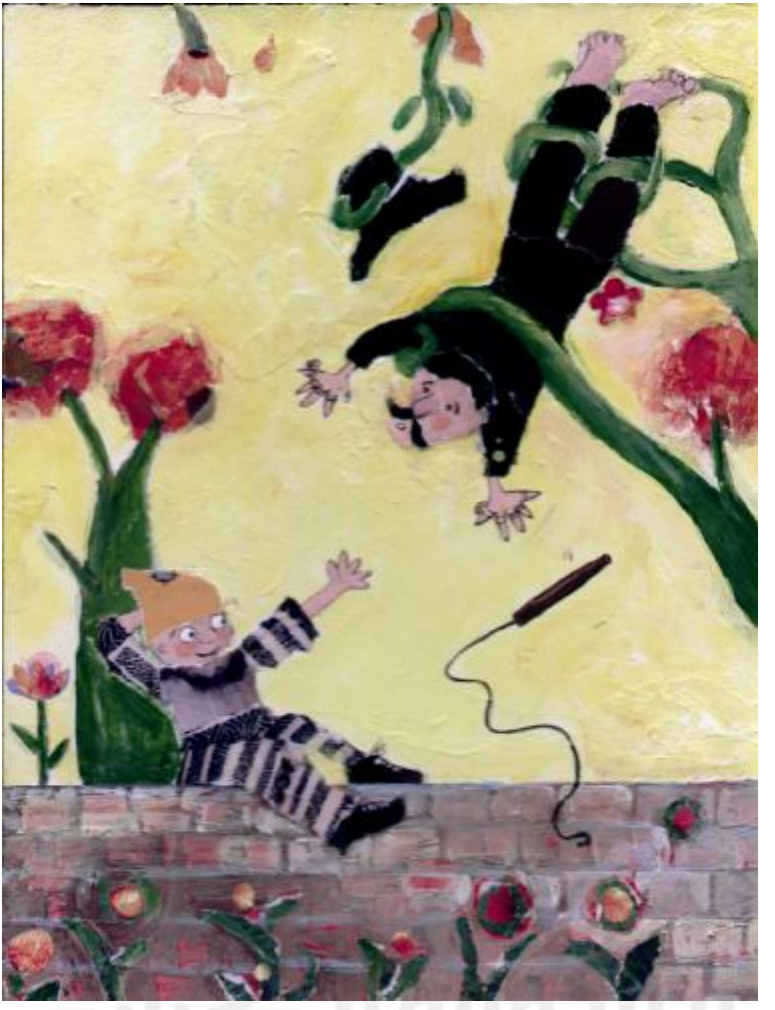

جديد، لكن على ظهره هذه المرة. لم تكن شجرة الأجاص قادرة على فعل شيء، فقذفت إلى عينيه مباشرة زيز حصاد نافق.

صاح السينيور مامبريتي:

"- هذه مؤامرة إذن! انتفاضة مسلحة! عصيان!"

عوضا عن الإجابة رمت شجرة الصنوبر إلى فمه حفنة من الإبر. وظل السينيور مامبريتي زمناً طويلاً يبصقها.

صرخ من جديد ما إن استطاع نطق أول كلمة:

"- سأريكِ! سأقتلعكِ مثل عصا الراعي! سأُقطِّعك إلى قطع صغيرة وأحرقك في الموقد! لن تبقى منك حتى البذور!"

وهنا مدت الأكاسيا أغصانها وقبضت على حنجرته، وكأنها تريد أن تخنقه، لكنها اكتفت بأن أجبرته على أن يصمت، ولم تفلته حتى انتهت الميموزة من دغدغته تحت أنفه.

أفلت السينيور مامبريتي أخيراً من أحضانها وهرب وهو يصيح:

"- النجدة! النجدة! فورتونينو!"

أجاب فورتونينو، الذي كان يشاهد هذه المسرحية جالساً على السياج:

"- أنا غير موجود هنا! هل من المعقول أنك لا تتذكر أنك طردتني؟ لذلك أنا ذاهب إلى السينما".

عاد السينيور مامبريتي إلى المنزل وأغلق الباب بإحكام. ثم ركض نحو النافذة. كان البستان هادئاً، كما لم يكن من قبل قط. انتصبت الأشجار في أماكنها وكأن شيئاً لم يحدث.

تمتم السينيور مامبريتي:

"- أيتها المنافقة!"

ثم ذهب إلى الحمّام ووضع على نفسه ما لا يقل عن دزينة من اللصاقات الطبية.

❖ ❖ ❖

جبروت العلب الفارغة

أمضت عائلة زيربيني يوم العطلة في الجبال، وهمَّت بالعودة إلى المدينة عبر طريق تشيفيتافيكيا. نصح السينيور زيبريني، المحبُ الكبيرُ للطبيعة والنظام، الزيبرينيين الآخرين - زوجته أوتّافيا وولديه أنجيلو وبييرو، وابنته روزيلا، وكذلك خطيبها بيرلويجي - بأن لا يخلفوا أوساخاً وراءهم:

"- لا تكوِّموها كالعادة، بل وزِّعوها بالترتيب في كل مكان. انظروا إلى هذه النجمة[1] - لم تتركوا قربها كأساً ورقياً واحداً! نعم، نعم، فلتحصل كل شجرة على نصيبها! لن نكون متحيزين. ضعوا المناديل الورقية الوسخة هناك، تحت شجرة البلوط تلك. أما القوارير الفارغة فتحت شجرة الكستناء تلك. نعم، هكذا! رائع!"

(١) النجمة: شجرة تنبت ممتدة على وجه الأَرض (لسان العرب).

كان عدد القوارير ثلاثاً : قارورة جعة وقارورة أورانجادا[1] ، وقارورة مياه معدنية. وقد شكلت قرب شجرة الكستناء منظراً طبيعياً صامتاً رائعاً. وكم تمنى أنجيلو وبييرو لو يلعبان لعبة الرمي قاذفين إياها بالحصى ، لكن ، يا للأسف ، لم يبق وقت. كان عليهم أن يجلسوا في السيارة غير ناسين المذياع ، وأن يودعوا الغابة بإطلاق الزمامير العالية ، ويتحركوا. وهكذا انطلقوا. سرعان ما راحوا يهبطون الجبل. جلس أنجيلو وبييرو في الخلف ، وراحا يصعران وجهيهما من خلال النافذة للسائقين السائرين خلفهم ، وإذ بهما يكتشفان فجاءة أن قارورة الجعة الفارغة لم تبق في مكانها تحت شجرة الكستناء ، بل راحت تقفز بمهارة خلف سيارتهم عبر الطريق السريعة ، قرب ماص الصدمة مباشرة.

هتف الأخوان معاً :

"- انظر يا بابا ! قارورة الجعة تركض خلفنا !"

قالت السينيورة أوتّافيا :

---

(١) أورانجادا : عصير البرتقال الحار .

" - سأنظر في الأمر. لا تصرف انتباهك عن المقود".

التفتت ورأت كيف انضمت إلى قارورة الجعة الفارغة قارورتا الأورانجادا والمياه المعدنية. لقد راح يقفز هذا الثلاثي اللطيف ويرقص جاهدا كي لا يتخلف عن السيارة.

أشارت روزيللا، ووافقها خطيبها:

"- كالكلاب تماماً".

اقترح أنجيلو وبييرو:

"- زد السرعة يا بابا! فلنبتعد عنها!"

لكن السينيور زيربيني لم يستطع زيادة السرعة لأن سيارة كانت تسير أمامه، وقد ركضت خلفها أيضاً قارعةً الطريقَ قارورة جعة فارغة. وأسرعت برفقتها علبتا لحم معلب وخشاف المشمش. فارغتان طبعاً. أما خلف السيارة الرائعة، ذات الطراز الأحدث، التي تخطت للتو سيارة السينيور زيربيني الصغيرة المتواضعة، ناخرةً عليها باحتقار من أنبوب عادمها، فقفزت دفعةً واحدة، وهي تعرج وتتدحرج وتتقلَّب، عدة قوارير

شمبانيا فارغة ومياه معدنية وكذلك علب سردين وكافيار أسود، ودزينة صحون بلاستيكية وما شابهها. لقد أصدرت جميعها مجتمعة دوياً رهيباً - ليس أسوأ من ضجيج مجموعة من قارعي الطبل!

أشار السينيور زيربيني:

"- هل رأيتم، إنها تركض وراء الكل، وليس وراءنا وحدنا. لكن إن انفجر إطار فستكون الحال أسوأ".

امتد عبر فياأورليا رتل كامل من السيارات التي ترافقها القوارير الفارغة الزجاجية والبلاستيكية، وعلب الكونسروة الصفيحية، ولكل منها قرعها الخاص وإيقاعها. بعضها ركض بخطوات صغيرة جداً، وقام بعضها الآخر بقفزات كبيرة، وكانت كلها تنحرف بقوة عند المنعطفات. كان المنظر المتشكل، عموماً، منظراً مسلياً، حتى إن السينيور زيربيني تذكر أنه عزف وهو صبي صغير على الصحون النحاسية في فرقة "جاز المساطيل"، نفسها التي عزف فيها عمه من قبل على دلو القمامة وأنبوب المدفأة.

طلب الآن أنجيلو وبييرو من أبيهما أن يخفف السرعة. لقد رغبا في مشاهدة سيارات السباق الفاخرة التي اندفعت وراءها من غير أن تفقد رشاقتها قوارير غير كبيرة مشبوكة بالقش، وقوارير ضخمة سعة خمسة ليترات وعشرة ليترات، وغيرها من الأوعية الجديرة بالاهتمام.

نشأت بعض الصعوبات في المنزل- قرب المصعد. دخلت القوارير العائدة لأسرة زيربيني إلى قمرة المصعد أولاً من غير أن تسمح بالدخول قبلها حتى للسينيورة أوتّافيا، ولم تهدأ لحظة واحدة طوال فترة صعودهم في المصعد. لقد داست على أقدام الفتيين، ومزقت جوربي روزيلا، وتسللت إلى ثنية سروال بيرلويجي. باختصار، كان واضحاً أنها لم تكن راضية عن النزهة. حين دخلوا الشقة شرعت القوارير تروح وتجيء في الممر، ثم دخلت غرفة النوم.

تسللت قارورة الجعة إلى تحت وسادة السينيور زيربيني، واستقرت قارورة الأورانجادا على الأرض تحت السجادة

الصغيرة. أما قارورة المياه المعدنية فذهبت إلى الحمّام. لكل ذوقه كما يقال.

بدا هذا كله مسلياً جداً للفتيين، أما للكبار فلم يكن بهذا القدر. هدأت روزيلا بعض الشيء بعد المكالمة الهاتفية مع بيرلويجي. لقد اتصل بها كي يتمنى لها ليلة هادئة، ويخبرها في الوقت نفسه قائلاً:

"- هل تدرين؟ لقد وجدت في فراشي علبة البندورة المقشَّرة ! فأنا لا آكل المعكرونة مطهوة بربّ البندورة!"

غفت العلب والقوارير بسرعة. لقد نامت من غير أن تتدافع أو تشخر. باختصار، لم تزعج أحداً. صباحاً، ذهبت قبل الجميع إلى الحمّام، ولم تلق المنشفة حيثما اتفق بل علقتها في مكانها. وسرعان ما تفرّق الكبار والطفلان، كلٌّ إلى سبيله، فمنهم من ذهب إلى المدرسة، ومنهم إلى العمل. أما السينيورة أوتّافيا فاتجهت إلى السوق. بقيت القوارير في المنزل. لكن عدد الأواني الفارغة صار الآن أربعاً، لأن علبة القهوة المطحونة ذات اللصاقة الجديدة قفزت من سلة القمامة، وشرعت ترتب

المجلى على الفور. راحت تنقل الصحون والكؤوس مصدرة الضجيج، لكنها لم تكسر شيئاً.

فكّرت السينيورة أوتّافيا: "لن أشتري اليوم أشياء محفوظة في علب أو قوارير".

راحت تلتقي في الطريق طوال الوقت بقوارير وعلب فارغة سارت في حالها ملتزمةً التزاماً صارماً بقواعد المرور: اجتازت الطرق عند الضوء الأخضر فقط. رأت السينيورة أوتّافيا فجاءة كيف دس سيد ما في الحاوية علبة من العلب التي توضع فيها الأحذية. لكنه ما إن استدار حتى قفزت العلبة من الحاوية، و- توب، توب، توب - أسرعت في إثره.

تنهدت السينيورة أوتافيا بارتياح: "- الحمد لله، لا توجد امتيازات لأحد!"

في أثناء الغداء جلست قوارير أسرة زيربيني الثلاث وعلبة القهوة على الشرفة لتستنشق الهواء النظيف.

سألت السينيورة أوتافيا: "- أمر ممتع، ما الذي تنوي فعله لاحقاً؟"

أجاب السينيور زيربيني :

"- أظنها ستسمن!"

"- ما معنى هذا؟"

"- انظري! هل ترين، لقد صارت قارورة الجعة بسعة لترين. كم كان مقدار القهوة في هذه العلبة؟"

"- نصف كيلو غرام.."

"- هاكِ! إنها تتسع الآن لكيلو غرام، إن لم يكن أكثر".

دهش أنجيلو وبييرو، مبديين اهتماماً علمياً بهذه المسألة :

"- ما الذي يجعلها تنمو هكذا؟ بم تتغذّى؟"

شرح السينيور زيربيني : "- واضح أنها تتغذى بالفراغ. فهي فارغة!"

أكدت الصحف المسائية استنتاجه. إذ أوردت تصريح البروفيسور علبة العلبيّ، المختص بالفوارغ والتعليب، والمعيد في علم التغليف والكونسروة، وقد جاء فيه :

"الحديث يدور حول ظاهرة طبيعية تماماً. انطلاقاً من السبب غير المعروف لنا، والذي نسميه "السبب س" تسعى الأوعية

الفارغة على نحو محدد إلى أن تصير فارغة أكثر. لهذا، طبعاً، عليها أن تزداد حجماً. والذي يهمنا إلى أقصى حد هو إن كانت ستنفجر في نهاية الأمر أم لا".

هتفت السينيورة أوتّافيا حين رأت أن قارورة المياه المعدنية الفارغة قد صارت خلفها، وراحت تنظر من فوق كتفها وتقرأ الصحيفة: "- يا إلهي!"

ومع حلول المساء صارت هذه القارورة أطول من البرّاد، أما القارورتان الأخريان فقاربتاها في الطول. وانتفخت علبة القهوة مثل الخزانة، وملأت نصف غرفة الأطفال التي دخلتها لتلقي نظرة إرضاءً للفضول.

هدّأ السينيور زيربيني زوجته: "- لقد قال البروفيسور إن هذه ظاهرة طبيعية تماماً. بكلمات أخرى "ظاهرة شاذة" غير شاذة، واضح؟ عموماً، إنك لست ضليعة في علم الظواهر الشاذة".

تنهدت السينيورة أوتافيا: "- لست ضليعة، ولا أجادل. لكنك بالمقابل ضليع على نحو ممتاز. لذلك قل لي أين سننام الليلة؟"

قادت السينيورة أوتافيا زوجها إلى غرفة النوم وهي تقول ذلك، وأرته السرير. استقرت عليه على نحو مريح قارورتا الجعة والأورانجادا - مثل جبلين، وقد تغطتا باللحاف، أما على الوسادتين فغفا بعذوبة عنقان من غير رأسين، والأصح من غير سدادتين.

هدّأ رب الأسرة زوجته من جديد: "- لا عليك، لا عليك. البيت الضيق يتسع لألف صديق! ثمة متسع لنا أيضاً. لا يجوز في نهاية الأمر أن نفكر بأنفسنا فقط".

خلال أسبوع سمنت علبة القهوة حتى شغلت غرفة الأطفال كلها. اضطروا إلى أن يضعوا السريرين والخزانتين الصغيرتين فيها مباشرة. لقد راح أنجيلو وبييرو يتسليان بلعبة البازلاء المعلّبة.

في غرفة روزيللا كبر أنبوب الدهون، حتى صار يتسع بسهولة لسرير مفرد ومرآة قائمة، والكتاب كثير الأجزاء "معلمو الفن التشكيلي"، وثلاث مزهريات كبيرة مع الزهور التي فيها، والصورة الإعلانية الكبيرة لفرقة "البيتلز"، والحاكي، والحذاء الشرقي الذي جلبه لروزيللا خطيبها من سيرابيفو، وكذلك

السلة الكبيرة التي تضع فيها ألعابها، والتي يغفو القط فيها أحياناً.

في المطبخ كان الذكاء كافياً لقارورة المياه المعدنية كي لا تنمو بالعرض، بل بالطول وحسب، وهي الآن تبرز من النافذة مثل سبطانة المدفع. لقد برزت من نوافذ كثير من المنازل المجاورة مثل هذه السبطانات الزجاجية، لذلك لم يكن في هذا ما يثير الدهشة.

كبرت كذلك القارورتان النائمتان في سرير الزوجين زيربيني أفقياً، من غير أن تعيقا الحركة في الغرفة قط. عدا ذلك بدا أن لهذا الأمر حسناته - صار كل منهما يستطيع النوم في قارورته. اختارت السينيورة أوتّافيا قارورة الأورانجادا - فهي لا تطيق رائحة الجعة. وكم كان سيبدو ممتعاً النظر إليهما ليلاً، حين يضطجعان في قارورتيهما مثل أنموذجي مركبين شراعيين، صنعهما ذئب بحري مسن[1]، أو سجين اجتهد في صنعهما بصبر لا ينتهي. لكن رؤيتهما كانت مستحيلة، فهما يطفئان النور ليلاً.

(١) لقب يطلق على البحارة المتمرسين.

لقد حدث شيء مشابه في منازل المدينة الأخرى كلها. تعلم الناس بسرعة الدخول إلى القوارير والخروج منها، وكذلك من العلب التي كانت تحتوي من قبل على مربى أو فواكه مجمدة. صار المحامون يستقبلون الزبائن الآن وهم جالسون في علب الأحذية أو في المصنفات. لقد وُجدت في كل أسرة أوعية فارغة خاصة بها، وكان لكل وعاء فارغ أسرته. وتبين أن العيش في علبة صفيحية، أو في علبة من الورق المقوى مريح تماماً.

استقرت الأوعية التي لم تجد لنفسها مكاناً في المنازل، وهذا مفهوم تماماً في ظل أزمة السكن الحالية، في الساحات والشوارع، والبساتين والحدائق العامة وشغلت تلال الضواحي. وغطت علبة لحم هائلة تمثال غاريبالدي. وقد أعاق غطاؤها المفتول بمفتاح علب الكونسروة المرور بعض الشيء. لكن سلطات المدينة، اهتمت، كالعادة، بالناس. فبنت فوق الغطاء جسراً خشبياً خفيفاً، وكانت السيارات تتجاوز هذا العائق من غير صعوبة. صارت روزيللا تقابل خطيبها الآن في علبة فطور مملحة – كان فيها مقعد أخضر. فالحلم، كما هو معروف، ممكنٌ أين ما شاء المرء، لو كان ثمة ما يمكن الحلم به. أما رائحة الفطور فكانت زكية.

عموماً، من يهتم بهموم أسرة زيربيني الصغيرة؟ كان لدى كل فرد من سكان المدينة المائة ألف همومه. لقد طرح جبروت العلب الفارغة مشاكل أخرى أهم. مرةً، صباحاً ابتلعت علبة معكرونة "مامبريتّي" الهائلة ("إذا لم تكن المعكرونة مامبريتي، فهي ليست سباغيتي!") دفعةً واحدةً الكوليزيه[1]. وعند ظهيرة ذلك اليوم ذاته اختفت قبة القديس بطرس في علبة حديدية كبيرة، يمكن القراءة عليها بالعين المجردة ومن مسافة كبيرة: "مربى". نشرت الصحف أن السينيورة سيتّيميا زيربوتّي أنجبت توأماً في علبة، وقد أهداها زوجها من شدة فرحته مفتاح علب ذهبيّاً. بث التلفزيون تقارير مباشرة عن كيفيّة ابتلاع علب الكونسروة مدينة تشيرفينو، وبرج إيفل، وقلعة فينزورسكي. وكالعادة علّق على الأحداث بشكل رائع تيتو جيستيانكيني.

في تلك الأثناء تبادل عالم الفلك الألماني الغربي مع زميله الأمريكي برقيات مشفرة. لقد لحظا معاً جسماً غريباً بدا وكأنه يتحرك من أعماق الفضاء باتجاه الأرض.

"- أليس هذا مذنباً يا بروفيسور بوكس؟"

---

(١) مدرَّج أثري في روما (المعرِّب).

"- لا أظن يا بروفيسور شاهرماهر، إذ ليس له ذيل!"

"- هذا صحيح. لكن يا لشكله الغريب... إنه يشبه..."

"- يشبه ماذا يا بروفيسور شاهرماهر؟"

"- إليك ماذا ! علبة! يشبه علبة ورق مقوى كبيرة جداً!"

"- حقّاً! إنها علبة خارقة! ربما لا تتسع للأرض وحدها وحسب، بل وللقمر أيضاً!"

"- بالمناسبة يا بروفيسور بوكس، هل استلمت علبة السيجار التي أرسلتها لك؟"

"- نعم، شكراً! النوم فيها مريح. وأنت، هل استلمت علبة السرطانات؟"

"- طبعاً! لقد وضعت فيها مكتبتي ومسجلة الستيريو".

"- تصبح على خير إذن يا بروفيسور شاهرماهر!"

"- تصبح على خير يا بروفيسور بوكس!"

❖ ❖ ❖

كيف قبض ماركو وميركو على المجرمين

ماركو وميركو توأم. لكن كان في الإمكان التمييز بينهما بسهولة، لأن ماركو كان يحمل دوماً مطرقةً ذات مقبض أبيض، بينما يحمل ميركو مطرقة ذات مقبض أسود. لم يفارق الأخوان قط مطرقتيهما. لم يفارقاهما قط حتى حين كان الصابون يقع في أعينهما.

لم يكن صعباً أيضاً التفريق بين والديهما - السينيور أوغوستو والسينيورة إيميندا - لأن السينيور أوغوستو كان يملك محل أدوات منزلية كهربائية، بينما كانت تملك السينيورة إيميندوا محل ثياب للكلاب. صباحاً، قالا للطفلين بلطف وهما يغادران:

"- من فضلكما يا ماركو وميركو، لا تفتحا الباب لأحد! ثمة مجرمون مرعبون في كل مكان، وهم يسرقون التالك[1] ".

"- حسناً يا ماما! حسناً يا بابا!"

طبعاً، ما إن اختفى الوالدان في الأفق حتى ركض التوأم فوراً، وفتحا الباب وهما يأملان بشدة أن يشاهدا ولو مجرماً واحداً يختبئ في الساحة. لكن خيبة الأمل كانت بانتظارهما. لم يكن هناك مجرمون. حينئذ خرجا إلى الشرفة وشرعا يمرنان مطرقتيهما - لقد علماهما أن تفعلا مثل العصا المرتدة الملوية، وغيرها من الألعاب الأخرى. كانت المطرقتان المقذوفتان في السماء عالياً، تنقضان في الشارع، وتلفان ثلاث مرات حول قبعة أحد المارة، ثم تعودان إلى الشرفة وهما تصفران صفيراً خافتاً.

أشار ماركو: "- تصفران، لكن ليس كما ينبغي".

---

(١) معدن، ماءات سيليكات المغنيزيوم. دهني الملمس، ناعم جداً، يستعمل في الطب(كرشوش) وفي الصناعة (لإنتاج الطوب المقاوم للنار، وفي الصناعات الورقية والجلدية وغيرها) (المعرِّب).

أكد ميركو : "- ستتعلمان!"

فجاءة فتحت النافذة في المنزل المقابل، وراحت سينيورة تصرخ بصوت مخيف، وقد أمسكت بشعرها مرعوبة :

"- النجدة! النجدة! لقد سرقوا التالك!"

ثبَّت ماركو، الذي أحصى السرقات في حيهم :

"- السابعة!"

تابعت المرأة صراخها :

"- النجدة! النجدة! ساعدوني!"

أشار ميركو :

"- أسنان تلك السينيورة التي سرقوها أمس كانت أنصع بياضاً".

لكن لوحة أخرى جذبت انتباه التوأم. خرج من وراء سياج المنزل المقابل رجل يضع قناعاً على وجهه. لقد أثار الشك بما فيه الكفاية. خصوصاً وأنه ضم إلى صدره علبة مليئة بالتالك، وكان واضحاً أنه ينوي الابتعاد بسرعة.

هتف ماركو: "- هذه هي الفرصة التي انتظرناها طويلاً".

وافق ميركو: "- إنها هي!"

أطلق الأخوان مطرقتيهما في تلك اللحظة ذاتها. لقد راحتا الآن تصدران في طيرانهما صوتاً شبيها بدويِّ الصفارة. نظر الرجل المقنع إلى أعلى... كان الأفضل له لو نظر إلى قدميه! لأن المطرقة ذات المقبض الأبيض صوبت نحو حذائه الأيسر والمطرقة ذات المقبض الأسود نحو حذائه الأيمن. رمى الرجل المقنع من شدة دهشته علبة التالك، وراح يصرخ أيضاً:

"- النجدة! أنقذوني!"

دارت المطرقتان بسرعة تثير الدوار حول قدميه، ولم تدعاه يخطو خطوة واحدة.

استاء الرجل المقنع: "- كفى! أستسلم!

أشار ماركو ممتعضاً: "- سريعاً جداً".

دقق ميركو: "- نحتاج أولاً إلى اعترافك التام والصادق. من أنت، ولم تسرق التالك، ومن شركاؤك، ومن يقودهم، وما اسم زوجة الزعيم، وكم عمرها إلى آخره".

"- اسمي الرجل المقنع. أسرق لحساب المجرم المشهور إم-إم، وبأمر منه. ولا أعرف أكثر من ذلك. انتهى".

"- عنوان إم – إم؟"

"- شارع غاريبالدي. ٣٥٦٧ ونصف، البناء رقم اثنين. يجب قرع الباب أربع مرات، وأنتما تغنيان أغنية - قلب الحسناء- ".

أطلق ماركو وميركو سراح الرجل المقنع بعد أن أعطاهما كلمة شرف، وعادت المطرقتان إلى الشرفة مصفرتين،

ومدركتين أهمية الواجب المنفَّذ ، لكنهما اضطرتا إلى الهبوط إلى أسفل من جديد، لكن هذه المرة بطريق مغايرة - في جيبيِ التوأم، اللذين ذهبا لزيارة المجرم الشهير إم - إم.

وصل الشقيقان إلى العنوان المذكور، وقرعا الباب أربع مرات. لم يجب أحد. قرعا الباب من جديد أربع مرات.

تردد صوت من وراء الباب: "- ليس صحيحاً! عليكما أيضاً أن تغنيا أغنية "قلب الحسناء"، وإلا لن أفتح!"

"- آه، نعم. الأغنية!"

غنى ماركو وميركو "نشيد غاريبالدي"، لكن إم – إم قاطعهما غاضباً:

"- وهذا أيضاً غير صحيح! أعيدا من البداية!"

وهنا أطلق ماركو وميركو مطرقتيهما، ففتح الباب في الحال.

شرحا قائلين: "- آسفان، أشد الأسف، لكننا نسينا أغنية - قلب الحسناء -".

استاء إم – إم: "- لقد كسرتما بابي!"

"- اعذرنا من فضلك. ومع ذلك أخبرنا الحقيقة كاملة عن اللصوص الذين يسرقون التالك".

"- لماذا؟ هل تحتاجان إلى كتابة موضوع في التعبير الأدبي في المدرسة؟"

لقد مسّ إم - إم بنفسه عن غير قصد، ومن غير أن يدري، نقطة الضعف. فمع كلمة "مدرسة" بدأ التوأم يهتزان، بينما صارت المطرقتان ضئيلتين جداً، كي لا تنتزعهما المعلمة. لقد وضع إم - إم النقطة بنجاح، لكنه، يا للأسف، لم يلحظ ذلك.

"- هربتما من المنزل كي تلتحقا بالفيلق الأجنبي؟ هل تريدان أن تذهبا مثلَ بحارين مبتدئين على متن سفينة تجارية؟"

أراد أن ينطق ببضعة اقتراحات، لكن الوقت لم يكفه لأنَّ التوأم انتقلا إلى الهجوم - راحت المطرقتان تدرسان ردود فعله العصبية على ركبتيه.

"- آي! أوي! يا خريجا السجون! ماذا تريدان مني؟ لست سوى منظِّمٍ متواضعٍ! سبعة وعشرون رجلاً تحت إمرتي

يسرقون التالك ويجلبونه إلى مستودعي. يأتي الأقرع كل صباح ويأخذه في شاحنة خضراء. إنه يدفع لي مقدار وزن هذا التالك ذهباً وفضة. وسيأتيني اليوم".

"- متى؟"

"- بعد دقيقتين تماماً. اختبئا وستريان كل شيء".

مضت الدقيقتان على غير استعجال، ويمكننا القول بلامبالاة. ثم وصلت الشاحنة الخضراء التي قادها رجل أصلع. حمَّلها إم - إم بعدول التالك ثم مدَّ يده لاستلام النقود. لكن الأقرع بصق فيها وقال:

"- يمكن دفع ثمن آخر دفعة على هذا النحو أيضاً!"

أراد أن ينطلق، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان. ثبتت مطرقة ماركو يده اليسرى على المقود، بينما ثبتت مطرقة ميركو يده اليمنى على عتلة تغيير السرعة.

استاء الأقرع: "- هل يُضرب الشرفاء هكذا؟ بغدر ومن غير تنبيه!"

اقترح ماركو وميركو: "- ادفع لهذا الخبير الشريف!"

حصل إم - إم على بضع سبائك من الذهب، ثم غسل يديه وسافر إلى لبنان.

قفز ماركو وميركو إلى الشاحنة.

فرح الأقرع: "- فلنذهب! فلنذهب إلى حديقة الحيوانات! سأشتري لكل منكما كيساً من الفستق، لتطعما القرود".

"- لا حدائق حيوان! قدنا إلى الزعيم!"

انزعج الأقرع: "- لا! كل شيء إلا هذا! الأفضل قهوة من غير سكر!"

أجبرته المطرقتان بسرعة على تغيير رأيه، وانطلقوا. في الطريق فتح الأقرع قلبه لماركو وميركو:

"- الزعيم هو البروفيسور شيطانيوس!"

"- من؟ العالم الشيطاني المشهور؟"

"- رجل مرعب! يكفي أن يخالفه المرء قليلاً حتى يبدأ لديه ألم في البطن من نظرة واحدة منه. هل تعلمان كيف أجبرني على أن أصير مساعده؟"

"- لا، لم يخبرنا أحد قط بهذا".

"- لقد عمل كي أرى في منامي جدي، وقد راح هذا الأخير يلطمني على خديَّ طوال الليل. استيقظت وقد بللني العرق البارد. فهوايتي المحببة هي مراقبة الدلب".

"- وكيف تفعل ذلك؟"

"- تختاران شجرة دلب أيَّ شجرة، وتضعان كرسي شاطئ، وتجلسان فيه وتنظران إلى الشجرة. يمكنكما القيام بمشاهدات ممتعة. بالمناسبة، يسمونني الثاني".

"- فلنعد إلى التالك. ماذا يفعل به البروفيسور شيطانيوس؟"

"- يحتاج إليه من أجل أنسيلميك. إنه روبوت يمتلك ذكاءً خارقاً. صنعه شيطانيوس بعد عدة أعوام من الدراسات العلمية، وسماه بهذا الاسم تخليداً لذكرى عمه أنسيلمو".

"- ولماذا يحتاج أنسيلميك إلى التالك؟"

"- يأكله. مائة كيلو غرام كل يوم. لا يفعل شيئاً سوى التهام التالك والتفكير".

"- بماذا يفكر يا سينيور ثاني؟"

"- لا يقول هذا إلا للبروفيسور شيطانيوس. حين يتحدثان يطرداننني دائماً. يرسلانني لأقطع الحطب. ها قد وصلنا! هل تريان ذلك البناء غير الكبير - الأبيض والمبقع بالأزرق؟"

نظر ماركو وميركو إلى حيث دلهما الثاني. ويا للمفاجأة! إنه بناؤهم! إنهما يسكنان في الطبقة الثانية مع والديهما ومطرقتيهما.

شرح الثاني: "- المختبر في القبو. يخرج شيطانيوس من المنزل بزي بائع الأدوات الصحية".

حزر ماركو وميركو على الفور: "- السينيور جاتشينتو! ذاك، الذي يهدينا الصنابير القديمة كثيراً. يا للعجب!"

غضب السينيور جاتشينتو - في زي العالم الشيطاني - غضباً شديداً من الثاني، حين رأى أن هذا الأخير قد اصطحب التوأم معه. أما الروبوت أنسيلميك فقد رقص فرحاً حين رأى التالك:

"- بيبيميكس! بيبيميكس! هييه!"

عقد منديلاً حول عنقه، وأمسك ملعقةً كبيرة، وشرع يأكل بنهم. أما البروفيسور شيطانيوس فكان في ذلك الوقت يحاول أن يولد بنظرته الشيطانية ألم البطن لدى ماركو وميركو، كي يتخلص منهما. لكنه لم ينجح في تركيز جهوده، لأن المطرقتين راحتا تبرمان حول أذنيه مطلقتين صرخات الهنود الحمر، فأصابتاه بدوار البحر.

"- لا تقاوم يا سينيور جاتشينتو - شيطانيوس! أنت محاصر!"

توسل العالم ذارفاً الدموع: "- كفى، كفى! أعترف لكما بكل شيء!"

لكنه لم يستطع فعل ذلك، على الأقل في تلك اللحظة، لأن أنسيلميك أطلق صرخة فرح بعد أن توقف عن الطعام:

"- وجدتها! وجدتها! اسمع أيها المالك! "تالك "نيكسون" يستحق حتى السرقة!" يا للتلميح الدقيق، أليس كذلك؟"

حزن البروفيسور شيطانيوس أكثر من ذي قبل، وشرع يتكلم وهو يكاد يبكي:

"- لا، هذا كثير! اليوم تحديداً، حين قررت أن أقلع عن فكرتي، لأنها صعبة جداً، بدأ أنسيلميك يعمل فجاءةً! لكنه تأخر دقيقتين، لأنكما وجدتماني واكتشفتما أمري! كم من المصادفات تمت معاً! كدت أبلغ هدف حياتي..."

"- أي هدف يا بروفيسور شيطانيوس؟"

"- إيجاد جملة ناجحة من أجل دعاية تالك "نيكسون" في البرنامج الإعلاني التلفزيوني "الأرجوحة الدوّارة". عليّ أن أقول لكما إن شركة "نيكسون" أخذتني منذ عشر سنوات للعمل عندها بمهمة فائقة السرية. لقد صنعت روبوتاً مدهشاً! إنه مصنوع كله من قطع الخمس ليرات... يمكنكما التأكد! كان على أنسيلميك بذكائه الخارق أن يؤلف هذه الجملة. لهذا الغرض رحت أطعمه التالك. ظللت أطعمه التالك حتى حين كفت الشركة عن تزويدي بالطعام. اضطررت إلى السرقة. أما الآن فستفضحانني زعيم عصابة تسرق التالك... سيحكمون علي بالأشغال الشاقة. وماذا لو سجنوني في زنزانة رقمها زوجي؟ إنني!.. كم أحب الأعداد المفردة!.. مأساة!"

ظل أنسيلميك في أثناء ذلك يقفز في الغرفة وينشد طَرِباً:

"تالك "نيكسون" يستحق حتى السرقة!"

أمره ماركو: "- كفى!"

أضاف ميركو بصرامة:

"- تالك "نيكسون" – قذارة!"

دهش أنسيلميك:

"- حقاً؟ لم أكن أعرف!"

وانفجر باكياً أيضاً.

هدّأه ماركو وميركو:

"- حسناً، حسناً، لا تبك! لم يقع صابون في عينيك! إليكم ما سنفعله، لن نفضح أحداً. لكن بشرط. أولاً: يقدم البروفيسور استقالته ويكرس نفسه كلياً لتجارة صنابير المياه. وعليه أن يعيد أيضاً التالك المسروق إلى أصحابه بالبريد".

"- لكن كيف؟ لا أعرف عناوينهم؟"

"- ستجدها في دليل الهاتف. الشرط الثاني: يكرس السينيور الثاني نفسه لمراقبة شجر الدلب".

"- هييه! سأهرع لأشتري كرسي شاطئ".

"- الشرط الثالث: يسجن أنسيلميك في الخزانة، ولا يخرج منها إلا لكي ينجز واجباتنا وواجبات أصدقائنا المدرسية. لهذا سيطعمونه الكتب المدرسية".

صاح أنسيلميك فرحاً:

"- هييه! الكتب المدرسية جيدة، حتى إنهم يسرقونها!"

وركض ليحبس نفسه بنفسه في الخزانة. ثم فتح الباب قليلاً وأطل من هناك:

"- هل سنبدأ اليوم؟"

"- لا، بعد انتهاء العطلة".

"- سأنتظر بفارغ الصبر نهايتها!"

ماذا بقي أيضاً؟ لا شيء. ودع ماركو وميركو السينيور جاتشينتو وعادا إلى المنزل. عادا في الوقت المناسب تماماً، لأن والديهما - السينيور أوغوستو والسينيورة إيميندا - سرعان ما وصلا. كانا راضيين جداً لأن ولديهما حيان ومعافيان وقد جلسا في المنزل طوال اليوم، متجنبين مخاطر المدينة الكبيرة.

قالت السينيورة إيميندا: "- كنتما شاطرين! وسأكافئكما على هذا بأن أقيم لكما اليوم غسيل رأس، أو بكلمات أخرى: سأغسل رأسيكما".

كان ماركو وميركو يفضلان صفعتين جيدتين عوضاً عن ذلك. لكن عزة النفس لم تسمح لهما بالاعتراف بذلك. يا للأسف، ليس كل شيء في الحياة جذاباً وممتعاً مثل البحث عن المجرمين الذين يسرقون التالك.

❖ ❖ ❖

الهيئة العامة السورية للكتاب

الغرباء وبرج بيزا

مرةً، صباحاً، جاء السينيور كارليتّو باللادينو كالعادة إلى أسفل برج بيزا ليبيع الهدايا. ورأى فجاءة، حين نظر إلى السماء مصادفة، سفينة فضاء ذهبية وفضية ضخمة متدلية في الهواء عالياً، ورأى جسماً ما شبيهاً أغلب الظن بمروحية ينفصل عنها ويهبط مباشرة نحو ساحة العجائب البيزاوية المشهورة.

هتف السينيور كارليتّو: "- انظروا! أغراب فضائيون!"

صاح السياح باللغات كافة: " فلينقذ نفسه كل من يستطيع!"

لكن السينيور كارليتّو لم يكن يفكر بالهرب قط. كيف يمكنه أن يرمي "بسطته" التي رتبت عليها في صفوف عشرات النسخ المصغرة للبرج الساقط، المصنوعة من الجص، والرخام، والرخام الشفاف.

راح يـصيح عارضـاً بـضاعته علـى القـادمين الفـضائيين، فألاحوا لـه مرحبين بأيديهمُ الاثنتيْ عشرة دفعـة واحـدة، مـع أن عدد الذين خرجوا من السفينة الفضائية كـان ثلاثـة فقـط. تـبين أن لدى كل منهم أربع أيادٍ.

ناداه باعة الهدايا الآخرون من بعيد، متظاهرين بـأنهم قلقـون عليه: "- اركض إلى هنا يا سينيور كارليتّو!"- أمـا في حقيقـة الأمـر فكـانوا متـضايقين لأن القـادمين ربمـا يـشترون الهـدايا منـه، أما منهم فلا. لكـنهم لم يحزمـوا أمـرهم علـى الاقـتراب ليعرضـوا تماثيلهم الصغيرة على الضيوف.

"- هدية! اشتروا هدية!"

أجابـه فجـاءة صـوت فـضائي: "- حـسنا أيهـا البيـزاوي، انتظر! علينا أن نتعارف أولاً".

"- كارليتّو باللادينو في خدمتكم".

تـابع الـصوت حديثـه بلفـظ إيطـالي رائـع: "- سـيداتي وسـادتي. نرجـو مـنكم المعـذرة علـى مـا سـببناه مـن قلـق. لقـد حططنـا مـن كوكـب "الـشبّوط" الـذي يبعـد عـنكم مـسافة سـبع

وثلاثين سنة ضوئية، وسبعة وعشرين سنتمتراً. سنمضي هنا بضع دقائق فقط. لا تخافوا منّا، لأننا هنا في مهمة تجارية".

أشار السينيور كارليتّو: "- لقد فهمت ذلك على الفور. رجال الأعمال يجدون لغة مشتركة بسرعة".

كرر الصوت الفضائي المكبَّر بمكبر صوت غير مرئي البيان عدة مرات، وسرعان ما أطل السياح وباعة الهدايا والفتية والفضوليون من مخابئهم التي اختبؤوا فيها أول الأمر، ثم صاروا يقتربون من البرج مستجمعين قواهم شيئاً فشيئاً. ثم حضرت مسرعة سيارات الشرطة والدرك وسيارات الإطفاء وسيارات حرس المدينة، مصحوبة بدويٍّ صفاراتها، كي تحافظ على النظام العام. ثم حضر عمدة المدينة ممتطياً فرساً بيضاء.

صرَّح بعد أن دقوا النفير ثلاث مرات: " - ضيوفنا الكرام! يسعدنا أن نرحب بكم في مدينة بيزا القديمة ذائعة الصيت عند أسفل برج الأجراس القديم ذائع الصيت. لو كنا نعلم مسبقاً بزيارتكم لأقمنا لكم استقبالاً، لائقاً بكوكب "الشبوط" القديم ذائع الصيت. يا للأسف..."

قاطعه أحد القادمين الفضائيين، محركاً يدين من أيديه الأربع: "- شكراً، لا تقلق. أشغالنا ستستغرق ربع ساعة في أقصى حد".

تابع العمدة: "- ألا ترغبون في غسل أيديكم؟ لقد جلبت لهذا الغرض خصيصاً بضع بطاقات زيارة إلى الفندق النهاري".

اتجه القادمون الفضائيون، من غير أن يعيروه أي انتباه، إلى برج الأجراس، ومسوه حين اقتربوا منه وكأنهم يتأكدون من أنه موجود حقاً. ثم بدؤوا يتكلمون حول أمر ما فيما بينهم بلغة شبيهة باللغة الكاراكالباكية، لكنها لا تختلف كثيراً عن اللغة القبردينية - البلقارية. احتكاماً إلى الوجوه، البادية من الألبسة الفضائية، كان الضيوف، مثلهم مثل الشبوطيين الأقحاح، يشبهون الهنود الحمر شبهاً كبيراً.

وجَّه العمدة حديثه لهم مرة أخرى باقتراح لطيف: "- ألا تريدون اللقاء مع حكومتنا، ومع علمائنا وصحافتنا؟"

دهش رئيس القادمين الثلاثة: "- لماذا؟ لماذا سَنُقْلِقُ هذا العددَ من الناس المهمين؟ سنأخذ البرج ونطير".

"- تأخذون... ماذا؟"

"- البرج".

"- عفوك أيها السينيور الشبوطي، لقد فهمتك على نحو سيئ على الأغلب. يبدو أنك تريد أن تقول إنك مهتم بالبرج، والأصح، إنك وصديقيك ترغبان في الصعود إلى الأعلى لتراقبوا المنظر، ولتقوموا في الوقت ذاته، من غير أن تضيعوا وقتكم، ببعض التجارب العلمية حول سقوط الأجسام؟"

أوضح الشبوطي من جديد باستعجال: "- لا، لقد حططنا هنا كي نأخذ البرج. علينا أن ننقله إلى كوكبنا. هل ترى هذه السينيورة؟" - وأشار إلى أحد مرافقيه: "- إنها السينيورة بول - بول، التي تقطن في مدينة بولون، على بعد عدة كيلو مترات عن عاصمة الجمهورية الشبوطية الشمالية".

حين سمعت السينيورة الفضائية اسمها، التفتت بحيوية ووقفت متمظهرة، ظناً منها أنهم سيصورونها. اعتذر العمدة لأنه لا يحسن التصوير، وشرع يتكلم من جديد على الأمر الرئيسي:

"- ما شأن السينيورة بول - بول هنا؟ الحديث يدور حول أنكم لن تجرؤوا، من غير إذن رئيس دائرة حماية الآثار الفنية، حتى على مس البرج بإصبعكم، وليس أخذه".

شرح الشبوطي الرئيسي: "- لم تفهمني، السينيورة بول- بول ربحت برج بيزا في مسابقة المشترين لدينا. بشرائها المتواصل لمكعبات مرق الدجاج المشهورة "بريك" جمعت مليون نقطة، فاستحقت بذلك الجائزة الثانية، أي برجكم المائل".

هتف العمدة: "- هكذا إذن! فكرة غير سيئة!"

"- عموماً، نعبر عن هذه الفكرة على نحو مغاير بعض الشيء. يقولون عندنا: "مرق الدجاج "بريك" يستحق كل تبريك"!

"- نعم، نعم... وما الجائزة الأولى؟"

"- جزيرة في البحر الأبيض المتوسط".

"- ممتع! أرى أن لديكم حماسة خاصة تجاه أرضنا".

"- نعم، كوكبكم مشهور لدينا كثيراً. لقد صورته أطباقنا الطائرة بالطول والعرض، وكان في نية شركات كثيرة منتجة

لمكعبات مرق الدجاج الإعلان عن أشياء أرضية مختلفة جوائِزَ لمسابقاتها. لكن شركة "بريك" استطاعت الحصول على احتكار حكومي للأرض".

هتف العمدة: "- لقد فهمتكم الآن أحسن فهم! فهمت أن برج بيزا برأيكم ليس لأحد! ويمكن أن يأخذه من يشاء".

"- ستضعه السينيورة بول- بول في حديقتها. ستنال النجاح طبعاً. ستنال نجاحاً كبيراً. إذ سيأتي إليها الشبوطيون من أنحاء الكوكب كله ليشاهدوا البرج".

صاح العمدة: "- جدتي! هل ترى جدتي في هذه الصورة؟ إنني أهديها لكم! فلتضعها السينيورة بول - بول في حديقتها، كي تتباهى أمام صاحباتها. لكن البرج ممنوع مسه! هل فهمتني؟"

سأل رئيس القادمين الفضائيين، مشيراً إلى زر في زيه: "- هل ترى؟ هل ترى هذا؟ يكفي أن أضغطه حتى تطير بيزا كلها، والبرج معها، في الهواء، ولا ترجعَ إلى الأرض أبداً".

تحجر العمدة من شدة الذهول. تجمد الحشد من حوله أيضاً من الرعب الهائل. لم يُسمَع أي شيء سوى صوت امرأة راحت تنادي من طرف الساحة الآخر:

"- جورجينا! ريناتو! جورجينا! ريناتو!"

أما السينيور كارليتّو ففكر في قرارة نفسه: "هاكم كيف يمكن أن يحصل المرء على ما يريد بلطف شديد!"

لم يتسن له إكمال هذه الفكرة الهامة جداً حتى... اختفى البرج، وبقيت مكانه حفرة راح الهواء يصفر فيها.

سأل رئيس القادمين الفضائيين:

"- هل رأيتم؟ كل شيء بهذه البساطة".

صرخ العمدة: "- ماذا فعلتم؟"

قال الشبوطي:

"- ها هو، فقط صغّرناه كي يسهل علينا نقله. بعد ذلك، حين سنضعه في حديقة السينيورة بول - بول سنكبِّره من جديد إلى حجمه الطبيعي".

وحقّاً، كان في ذلك المكان الذي قام فيه للتو البرج المائل، برج ضئيل جداً، شبيه تماماً بالبرج الموجود على "بسطة" السينيور كارليتّو باللادينو.

أطلق الحشد "أوه - ه - ه !" طويلة. وفي تلك الأثناء تردد من جديد من طرف الساحة الآخر صوت المرأة التي كانت تنادي طفليها :

"- ريناتو! جورجينا!"

انحنت السينيورة بول - بول كي تأخذ البرج الصغير وتضعه في حقيبتها اليدوية، لكن أحدهم، والأدق السينيور كارليتّو باللادينو، سبقها وارتمى على البقايا التافهة لهذا الأثر القديم ذائع الصيت، مثلما يرتمي الكلب (على كل حال هكذا يقولون) على قبر صاحبه. تسمر الشبوطيون لحظةً من وقع المفاجأة والدهشة، لكنهم أمسكوا بأيديهم العديدة كلها بالسينيور كارليتّو، ورفعوه بسهولة مبعدين إياه.

قال رئيس القادمين : "- حسناً، كل شيء على ما يرام. البرج الآن في حوزتنا، وسيظل لديكم كثير من الأشياء الجميلة الأخرى. الأمر الذي جئنا إلى هنا من أجله بمهمة على حساب شركة "بريك" قد أنجز. لم يبق لنا إلا أن نشكركم ونودعكم".

غلى العمدة غيظاً : "- فلتذهبوا إلى الشيطان! قراصنة! ستندمون على هذا ! عاجلاً أم آجلاً سيكون لدينا أطباق طائرة..."

أضاف أحدهم من بين الحشد : "أما مكعبات مرق الدجاج والمسابقات فموجودة!"

كرر العمدة : "- ستندمون على فَعْلتكم هذه!"

فرقع قفل الحقيبة اليدوية التي صفقتها السينيورة بول - بول بحماسة شبوطية خالصة. صهلت فرس العمدة بصوت مرتفع ، لكن لم يكن واضحاً ماذا كانت تريد أن تقول. بعد ذلك سمعوا جميعاً صوت السينيور كارليتّو الخجول :

" - عفوك أيها السينيور الشبوطي..."

"- ماذا هناك أيضاً؟"

"- لي طلب عندكم..."

"- التماس؟ حسناً ، على الرحب والسعة ، مع طابع مالي".

"- لكنه أمر تافه جداً! بما أن السينيورة بول - بول قد نالت جائزتها.. ربما ، تستطيعون..."

"- ماذا بعد؟"

"- كما ترون، لدي أنموذج غير كبير لبرج الأجراس الرائع. قطعة زينة رخامية كما ترون. لن يشكل لكم أي عناء تكبيره إلى حجم البرج الطبيعي. وبذلك تبقى لدينا ذكرى عطرة عن برجنا".

دهش رئيس القادمين: "- لكن البرج سيكون مقلداً، ولن يكون له أي قيمة تاريخية فنية مائلة؟ هذا شبيه بشرب الهندب بدلاً من القهوة".

ألح السينيور كارليتّو: "- ومع ذلك يرضينا هذا".

شرح رئيس القادمين الطلب الغريب لزميله والسينيورة بول - بول، فضحكا.

امتعض العمدة: "- ما هذا الهراء! لا نحتاج إلى أي هندب!"

رجاه السينيور كارليتّو: "- انتظر أيها السينيور العمدة، انتظر!"

وافق زعيم القادمين: "- حسناً، هاته إلى هنا!"

سلمه السينيور باللادينو أنموذجه. وضعه رئيس القادمين في المكان الذي قام البرج فيه سابقاً، ثم وجه نحوه زر بزته (الآخر،

وليس ذلك الذي يفجِّر) و.. ها هو! جاهز! برج بيزا في مكانه من جديد.

تابع العمدة امتعاضه: "- ما هذا أيضاً؟ واضح عن بعد فرسخ أنه مزور مثل يهوذا. سآمر اليوم بهدم هذا العار".

أجابه رئيس القادمين: "- كما تشاء، أما نحن فسنطير. إلى اللقاء، وتحياتي للأسرة الكريمة!"

استقل الشبوطيون مروحيتهم، وعادوا إلى سفينة الفضاء الذهبية - الفضية، وفي تلك اللحظة ذاتها لم يبق في السماء سوى عصفور دوري صغير، طار باتجاه البرج وحط في أعلاه.

بعد ذلك حدث شيء غريب جداً. شرع السينيور كارليتو باللادينو يرقص التارانتيلا[1] على مرأى من الحشد الحزين الضخم، ومباشرة أمام العمدة المجهش بالبكاء.

قال أحدهم: "- مسكين. فقد عقله حزناً!"

صاح السينيور كارليتّو: "- أنتم من فقد عقله! حمقى وقليلو حيلة- هؤلاء أنتم! وعديمو الملاحظة مثل فرس العمدة. ألم تلحظوا كيف بدلت البرج تحت أنف الشبوطيين مباشرة؟"

"- لكن متى؟"

---

(١) رقصة إيطالية حماسية جداً. (المعرِّب).

"- حين سقطت على البرج الصغير، متظاهراً وكأنني أرمي نفسي مثلما يرمي الكلب نفسه على قبر صاحبه. لقد بدلته بإحدى هداياي. في حقيبة السينيورة بول - بول برج مزور! أما البرج الحقيقي، فها هو! حتى إنهم كبَّروه من جديد إلى أبعاده السابقة. لا بل إنهم سخروا من هذا. انظروا، انظروا! اقرؤوا الكتابات المخدوشة عليه..."

صاحت إحداهن: "- هذا صحيح! صحيح! هاهما اسما ولديّ جورجينا ورينا تو. لقد كتباهما بقلم ناشف اليوم صباحاً!"

أعلن حارس المدينة بعد أن عاين الكتابة بانتباه: "- مرحى لهما! بالقلم الناشف حقّاً. وأنتِ أيتها السينيورة: هل ستدفعين الغرامة الآن أم نرسلها لك إلى المنزل؟"

لكن الغرامة هذه المرة دفعها عن طيب خاطر ومن جيبه الخاص السينيور العمدة. أما السينيور كارليتّو باللادينو فحملوه جميعهم على أيديهم، وراحوا يؤرجحونه. عموماً، كان هذا مضيعة لا معنى لها للوقت، لأنه فقد زبائنه - إذ راح السياح في ذلك الوقت يشترون الهدايا من منافسيه.

* * *

المحتوى

الصفحة

صورة السينيور كورنيليوس ٥
الأسطوانة المسحورة ١٦
الدمية التي تعمل على الترانزيستورات ٣٣
البيضة الخضراء..... ٥٠
الطائرة المجهولة ٦٩
كارلينو، كارلو، كارلينو أو كيف نجعل الفتيان
يقلعون عن العادات السيئة ٨٦
الوردة والسوط ١٠٤
جبروت العلب الفارغة ١٢٠
كيف قبض ماركو وميركو على المجرمين..... ١٣٦
الغرباء وبرج بيزا ١٥٣

الطبعة الأولى / ٢٠١١م

عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة

www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ١٢٠ ل.س أو ما يعادلها